



جامعة المنيا  
مذكرة  
تاريخ تربية الطفل  
"المستوي الثاني"  
2019/2018  
قسم العلوم التربوية

## رؤية كلية التربية للطفولة المبكرة - جامعة المنيا

كلية التربية للطفولة المبكرة بجامعة المنيا رائدة ومتميزة فى مجال تربية الطفل بين الكليات المناظرة إقليميا وعالميا.

## رسالة كلية التربية للطفولة المبكرة - جامعة المنيا

تسعى كلية التربية للطفولة المبكرة جامعة المنيا إلى التطوير المستمر فى البرامج التعليمية بالكلية فى ضوء المعايير الأكاديمية القومية من أجل تخريج طالبات قادرات على المنافسة فى سوق العمل وإجراء البحوث العلمية الرائدة فى تربية الطفل وتقديم الدعم الفعال والاستشارات التربوية والنفسية لخدمة المجتمع.

## الفهرس

الصفحة	الموضوع
	الفصل الأول: الفكر التربوي - مفهوم التربية - العوامل المؤثرة في الفكر التربوي - أسباب دراسة الفكر التربوي
	الفصل الثاني: الفكر التربوي في المجتمعات البدائية:
	الفصل الثالث: الفكر التربوي في مصر القديمة:
	الفصل الرابع: التربية في بلاد الرافدين:
	الفصل الخامس: التربية في الهند القديمة:
	الفصل السادس: التربية في الصين
	الفصل السابع: الفكر التربوي في اليونان:
	الفصل الثامن: الفكر التربوي الإسلامي
	الفصل التاسع: الفكر التربوي في القرنين التاسع عشر والعشرين

## الفصل الأول مفهوم التربية

اختلفت معاني التربية علي مر العصور من مجتمع لآخر تبعا لفسلفة كل مجتمع من المجتمعات، وتبعا لأهداف التربية، ويمكن أن يتضح ذلك من خلال استعراض التربية المختلفة:

فقد عرفها الصيني القديم (كونفوشيوس) (478-551 ق.م): بأن الغرض من التربية الصينية هو تدريب الفرد علي السلوك الملتزم وخدمة النظام القائم وإعداد الموظفين للدولة وتخريج طبقة من الحكام والمحافظة علي العادات والتقاليد السائدة في المجتمع والمحافظة علي الاستقرار في المجتمع الصيني القديم.

أما أفلاطون (427-347 ق.م): فقد عرف التربية بأنها كل ما يضيف علي الجسم والنفس كل جمال وكمال ممكن.

أما أرسطو (322-384 ق.م): فقد عرف التربية بأنها عملية إعداد العقل كما نعد الأرض لاستقبال البذرة.

بينما عرف أبو حامد الغزالي التربية (1059-1111 ق.م): بأنها صناعة التعليم، وهي أشرف الصناعات التي يستطيع الإنسان أن يحترفها، ومن أهم أهدافها هي الفضيلة والتقرب إلي الله.

أما جان جاك روسو (1712-1778 ق.م): فقد عرف التربية بأنها العمل علي تهيئة الفرص الإنسانية كي ينمو الطفل علي طبيعته انطلاقا من ميوله واهتماماته.

أما بستالوتزي (1746-1828م): فقد عرف التربية بأنها إعداد الفرد لتحمل مسؤولياته المختلفة في الحياة.

وقد عرف فروبل التربية (1782-1882م): بأنها عملية تتفتح بها قابليات التعليم الكامنة لدي الفرد كما تتفتح الأزهار علي النباتات.

أما هربرت سبنسر (1820-1903م): فقد عرف التربية بأنها كل ما نقوم به من أجل أنفسنا وكل ما يقوم به الآخرون من أجلنا بهدف التقرب من كمال طبيعتنا وإعداد الفرد للحياة المستقبلية.

أما جون ديوي (1889-1982م): فقد ذكر أن التربية هي مجموعة العمليات التي يستطيع بها المجتمع أن ينقل أهدافه إلي الأفراد، بهدف تأمين وجودهم الخاص ونموهم المستمر.

ومن التعريفات السابقة للتربية نلاحظ وجود اختلافا كبيرا في تحديد مفهوم التربية ومعناها بين المشتغلين بالتربية، وهذا يرجع إلي اختلاف نظرة المفكرين والفلاسفة والمربين إلي الإنسان وطبيعته، وإلي المعرفة ومصادرها، وإلي فلسفة كل مجتمع والأهداف المتوخاة من التربية، إلا أن هناك بعض جوانب الاتفاق، غير أنه

من الأهمية بمكان أن نبين النقاط الأساسية التي يجب أن يحرص عليها أي تعريف للتربية وهي:

- 1- التربية تخص النوع الإنساني، فقد نتحدث عن رعاية النبتة وتدريب القطة، ولكن كلا العمليتين تختلف عن العملية التربوية في غاياتها ونقطة انطلاقها.
- 2- التربية عملية هادفة غايتها موجودة في أحد الطرفين، وهو يمارس عمله بالنسبة للطرف الآخر، فالكبير يوجه الصغير، والجيل البالغ الراشد هو الذي يوجه الجيل الناشئ وهو توجيه مقصود.
- 3- التربية عملية تفاعل الإنسان ومجتمعه، فالفرد يتلقى المؤثرات ويكون في نفس الوقت مؤثرا ومحتلا ومقدما ومضيفا لثراث الإنسان شيئا جديدا عندما يصبح قادرا علي ذلك.
- 4- التربية تهدف إلي إيصال الشئ إلي كمال نموه عن طريق المعلومات والمعارف، وتهيئ الظروف أمام الطفل حتى تتمكن القوي الداخلية فيه من النضج والنمو.
- 5- التربية عملية قادتها ضرورة تحقيق التواءم بين عضوية حية ذات شروط خاصة وبين ظروف خارجية تحيط بها، وهذا التواءم ضروري للبقاء ولا يتم إلا بتدخل المربي الراشد فيه وتوجيهه.
- 6- التربية عملية شاملة لها معني واسع بالإضافة إلي معناها المحدود، فقد يكون أكثر حديث الناس عن التربية داخل المدرسة، ولكن الأسرة والمجتمع وكافة مؤسساتهم أدوار هامة في ذلك أيضا.

### العوامل المؤثرة علي الفكر التربوي:

لدراسة الفكر التربوي في المجتمعات المختلفة، ينبغي أن نضع في اعتبارنا مجموعة من القوي أو العوامل الثقافية التي توجه التربية، وتقف خلف ما يعيشه الناس من أساليب الحياة بما في ذلك، نظم التعليم ومؤسساته.

ومن هذه العوامل:

### 1- العوامل السياسية:

ونقصد بها الأوضاع السياسية للمجتمع، وما تتضمنه من نظم الحكم، وما يتسم به ديمقراطية أو استبداد، وما يتعرض له من استقرار أو انهيار، أو تطور أو تدهور، وما قد يعانیه من هجوم وما يضطر إليه من دفاع، ثم من حيث الاستقلال أو الاستعمار وكذلك ما يكتنفه من ظروف سياسية عامة، لها أثرها علي اتجاهات التربية فيه، ويتضح ذلك من تتبع الظروف السياسية التي كانت تعيشها اسبرطة (من بلاد اليونان القديمة) سواء في الداخل حيث الاستبداد والتسلط، أو في الخارج حيث توقع الهجوم أو الدفاع من وقت لآخر، وانعكس هذا علي أساليب التربية ونظم التعليم

والتي وضع أسسها مشرع اسبرطة (ليكرجوس) (حوالي عام 855 قبل الميلاد) والذي سن النظم واللوائح التي أخذها الأسبرطيون دستوراً لهم في الحياة، والتي تتسم في جملتها بالشدّة والعنف والقسوة والتي تهدف إلى تكوين وإعداد أفراد أقوىاء شجعان، لديهم القدرة علي الاحتمال والصبر، حتى يتمكنوا من حفظ كيان الدولة، وذلك بإخماد ثورات العبيد في الداخل، وصد العدوان الذي قد يأتي من الخارج.

وقد نصح ليكرجوس بالأ بتبني الجدران حول اسبرطة لحمايتها، قائلاً: "إن خير الجدران لحماية الدولة، إنما هي التي تبني من الرجال بدلاً من الحجارة".

أما عن التعليم، فقد كانت الدولة هي المهيمنة علي تعليم الأسبرطيين في جميع مراحلها المختلفة التي كانت تبدأ منذ ولادة الطفل وتستمر حتى سن الثلاثين في المعسكرات علي أن تظل العلاقة بحياة المعسكرات إلي سن الستين، مع استمرار تنفيذ تعليمات الدولة وتوجيهاتها بكل دقة وولاء.

ويتضح ذلك، أيضاً من اتجاهات التعليم إبان حكم محمد علي لمصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر حيث كان النمط السائد هو النمط العسكري كما رسمته سياسة الدولة في ذلك العصر، سواء في نوعيات التعليم التي تخدم الأهداف العسكرية أو في كيفية اختيار الدولة للتلاميذ، إذ كانت تخصص لكل مديرية نفراً، وتعهد إلي رجال الإدارة بجمعهم فإذا لم يتقدم بهم أهلهم وهم صاغرون، سلط وجال الإدارة الجند لنزعهم من أحضان أهلهم أو عهدوا إلي المتعهدين بأن يوردوا لهم الأنفار النافعين، ثم في نظام الحياة المدرسية وألوان العقوبة التي كان يتعرض لها التلاميذ.

كذلك، يتضح أثر السياسة علي التعليم فيما اتبعه الاحتلال البريطاني لمصر في أواخر القرن التاسع عشر حيث كانت سلطات الاحتلال تعمل علي وجود نوعية من الشباب المصري، تألف الخنوع والاستكانة وتتعود علي إتباع أساليب التملق والنفاق، مع إشاعة مشاعر الإعجاب بالمستعمر، مع اقتنصار التعليم علي فئة قليلة من أبناء الشعب المصري، وقد وضع المستعمر ما أراده من مناهج ونظم تعليمية تخدم أغراضه التي لا تعدو تخريج موظفين يعملون في الحكومة، بعيدين عن النواحي السياسية والاقتصادية والفكرية.... مما يضمن بقاء المستعمر.

## 2- العوامل الاجتماعية:

وتقصد بها حياة المجتمع، من حيث هو مجتمع طبقي أو مجتمع رأسمالي، أو مجتمع ذو صلات مفتوح، أو انعزالي مغلق وما يسوده من مبادئ، وقيم، ومثل، واتجاهات عامة، وما يحس به الأفراد من مساواة وعدل أو تمايز وظلم اجتماعي، ثم مدي الإحساس بالرفاهية أو الاضطهاد، وكذلك ما تتعرض له الشعوب من تغير اجتماعي نتيجة ظروف معينة، بالإضافة إلي درجة التقدم الحضاري الذي تعيش فيه... الخ، ويتضح أثر ذلك علي التربيّة، مثلما حدث في بعض العصور الرومانية

القديمة، فلم يكن الشعب الروماني شعبا مبتكرا بقدر ما كان شعبا ممتازا في النواحي التطبيقية، واستعار الرومان من اليونان القدامى أفكارهم وترجموها إلي أعمال تخدم مجتمعهم مما ساعدهم علي سن القوانين والتنظيمات الاجتماعية التي أخذت عنها دول كثيرة، ومنها دول حديثة، كذلك عرف الشعب الروماني شغفه بالمال والثراء، وكان هذا الشغف من أهم العوامل التي جعلت الرومان ميالين للحروب، يبتغون من ورائها الكسب وتملك البلاد وخيراتها وجمع ثروتها، وكان لذلك أثره علي التربية فقد اهتمت التربية الرومانية في عصورها القديمة بالنواحي العملية والنفعية والحربية بينما أغفلت النواحي الجمالية والفنية، وميزت التربية اليونانية القديمة عن غيرها.

ويعتبر الهدف التربوي في هذه الفترة من تاريخ روما هو تكوين المواطن الصالح الذي يتمثل في الجندي الشجاع المتحلي بالفضائل التي تساعده علي معرفة ما له من حقوق وما عليه من واجبات مثال آخر، يتضح فيه أثر التركيب الاجتماعي في التعليم باعتبار أن القوي الاجتماعية هي الوعاء الذي يحتوي المعارف والمعلومات والاتجاهات، فإذا تأملنا في تركيب المجتمع المصري خلال العصر العثماني، نجده كان مكونا من: المماليك، الأتراك، المتقنين، أرباب الحرف والصناعات، أهل الذمة، التجار، العوام، الفلاحين، البدو ثم الأجانب.

وبطبيعة الحال، كان التعليم تمثيلا صادقا لنوعيات التركيب الاجتماعي في مصر، حيث عني بتعليم الحكام والفئات المقربة إليهم، بينما أهمل تعليم السواد الأعظم من الشعب المصري، وتختلف الثقافة العربية بالمقاييس عما كانت عليه في عهود سابقة.

بالإضافة إلي ذلك، فإن الأتراك - وأن كانوا مسلمين - إلا أنهم لم يتعلموا اللغة العربية، فبقوا بعيدين عن روح الثقافة العربية وحتى عن روح الإسلام، وفرصوا حصارا ثقافيا حول ما وقع في حوزتهم من البلاد العربية لإبعادهم عن تيارات التقدم التي كانت سائدة في الغرب حينذاك، بل نستطيع إن نقول إن من أهداف الحكومة العثمانية كان إهمال الوطن العربي وجره إلي التدهور المادي والمعنوي حتى لا يتطلع إلي الاستقلال، ويكفي أن نعرف أن تلك الحكومة لم تجد بأسا في أن تضع للولايات العربية حكومات قائمة علي النزاع والمنافسة والسلب واقتسام الغنيمة ومن ذلك سيطرة أمراء المماليك علي مصر في العهد العثماني بكل ردائل هؤلاء الأمراء وتخلفهم الفكري والخلقي.

### 3- العوامل الاقتصادية:

ونعني بها النواحي الاقتصادية العامة للمجتمع، باعتبار أن أوضاع التربية تتأثر بالأوضاع الاقتصادية للمجتمع وإمكانياته، سواء بالنسبة لمحتوي التعليم أو أساليبه، أو مؤسساته، أو اتجاهات الثقافة بصفة عامة، فقد ارتبط التعليم طوال عصور

التاريخ المتعددة في مختلف المجتمعات بالاقتصاد ارتباطا وثيقا حتى إن البعض يري أن العامل الاقتصادي هو الذي يحدد النظم الاجتماعية ويوجه تطورها في المجتمع وبالتالي ينعكس أثره علي عمليات التربية، وما من فترة تاريخية شهد فيها المجتمع ازدهارا اقتصاديا وانتعاشا في أحوال الناس وحياتهم إلا وصحب ذلك الازدهار وذلك الانتعاش، ازدهار مماثل في أحوال التعليم والثقافة بفروعها المختلفة والعكس صحيح، فعلي سبيل المثال ازدهرت الحياة العلمية في مصر الفرعونية ازدهارا كبيرا كان لحسن ظروف الاقتصاد المصري فضل كبير في ذلك حيث مكثهم من إقامة حضارتهم الزاخرة بالعديد من مظاهر التقدم والعمران والنبوغ في العلوم المختلفة، فقد كان للطب بفروعه شأن عظيم وكان لأطباء مصر القديمة شهرة ملأت أسماع الدنيا في ذلك الوقت وارتبط التحنيط والتشريح بالطب، إلي جانب الاهتمام بالفلك والعلوم الكونية والعلوم الرياضية كالهندسة والحساب لما تقتضيه متطلبات الحياة كبناء الأهرامات وإقامة المعابد وتنظيم مياه النيل وقياسها وضبطها وتنفيذ التشريعات العامة والتجارة، وما إلي ذلك، كذلك كان للمصريين القداماء في معرفة الكيمياء حظ لا يقل عن حظهم في سائر المعارف والعلوم، وتشير الدلالات التاريخية إلي أن الحياة في مصر الفرعونية جمعت سائر أفراد الشعب علي اختلاف طبقاتهم الاجتماعية ومستوياتهم الحيوية في وحدة متماسكة قوية، ولم يلجأ المصريون إلي ثورات ذات طابع اقتصادي أو اجتماعي (إلا في أضيق الحدود والعصور)، لذلك تميز المجتمع المصري بذيوع ذلك الروح الصفو العذب الذي شمل الناس جميعا، كما جرت أيام الحياة لدي المصريين سهلة بسيطة، يسودها جو من المرح الصافي ، وعلي نغمة حلوة مرضية، ويسعد أهلها الرخاء المادي الذي تجري لهم به الحياة بين يدي النيل العظيم.

وهناك مثال آخر يتضح فيه أثر الاقتصاد علي التعليم، ولكنه نقيض المثال السابق وذلك إبان الحكم العثماني لمصر، فقد ساءت الحالة الاقتصادية وبالتالي ساءت حالة التعليم بل وتدهورت حتى انحدرت إلي الحضيض، ويعبر عن ذلك علي مبارك في خطبه التوفيقية بقوله: "... أهمل أمر المدارس وامتدت الاطماع إلي أوقافها، وتصرف فيها النظار علي خلاف شروط وقفها، وامتنع الصرف علي المدرسين والطلبة والخدمة فأخذوا مفارقتها وصار ذلك يزيد في كل سنة عما قبلها لكثرة الاضطرابات الحاصلة بالبلاد حتى انقطع الالتفات إلي عماراتها ... فامتدت أيدي الناس والظلمة إلي بيع رخامها وأبوابها وشبابيكها حتى آل بعض تلك المدارس الضخمة والمباني الجليلة إلي زاوية صغيرة، تراها مغلقة في أغلب الأيام وبعضها زال بالكلية، وصار زريبة أو حوشا أو غير ذلك.

وفي تقصي أمور الاقتصاد في تلك الفترة، تفسير مبرر لما وصلت إليه أمور التعليم.

#### 4- العوامل الدينية:

ونعني بها الاتجاهات الدينية والمعتقدات التي يعتنقها أفراد المجتمع وما يمارسونه من طقوس وما وفر في نفوسهم من إيمان وما تغلغل في وجدانهم من عقائد وما يقدسونه من آلهة ومعبودات في العصور القديمة ثم ظهور الديانات السماوية "كالمسيحية والإسلام" وأثر ذلك في طبيعة المجتمعات واتجاهات الشعوب، وبالتالي ارتباطه بأوضاع التربية ونظم التعليم ومسارات الثقافة في المجتمع.

ففي مصر الفرعونية، وجد ارتباط كبير بين العقيدة ومختلف العلوم والفنون التي أجادها المصريون القدماء، ووضع ذلك في بناء الهياكل والمقابر وما وجد عليها من رسوم دينية وتصاوير تتعلق بالعبادة والخلود وما يتصل به من تشریح وتحنيط وحفظ جثث الموتى، ثم ما كان يدرس من الأدب الديني والقصص الدينية... الخ، ويبدو من آثار الفراعنة، أنهم كانوا يهتمون بالحياة الدينية ويقدمونها أكثر من غيرهم من أمم الأرض التي كانت تعيش في عصورهم، بل أنهم يرجعون العلوم واختراعها إلى الإله توت إله الحكمة، وحول معبوداتهم ومقدساتهم، وجدت أنواع العلوم وفروع المعرفة، أضف إلى ذلك قيام الكهنة وهم رجال الدين حينئذ بتدريس العلوم المختلفة، إلى جانب عملهم في المعابد وما يتصل بشئون الدين.

كذلك يتضح أثر العامل الديني في حياة الناس وأساليب تربيتهم وتعليمهم بظهور الدين الإسلامي فقد كان لانتشاره في شبه الجزيرة العربية، آثاره المتنوعة، اجتماعيا، وفكريا، وعلميا، وسياسيا باعتباره أهم حدث تعرضت له، فقد غير من الأوضاع التي كانت سائدة من قبل، حيث ملأ معتنقيه بمثل عليا ناضجة، وبعواطف إنسانية سامية، ذلك أنه لاي جانب ما نادي به من الإيمان بعقائده الأساسية في توحيد الله عز وجل ونبوة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، والحياة الآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب، فإنه نادي كذلك بالتمسك بتعليم الأخلاق الفاضلة واعتبره شرطا أساسيا للحياة الدينية الصالحة، وبالإضافة إلى البعث السياسي والروحي لبلاد العرب الذي كان نتيجة لظهور الإسلام، فضلا عن اهتمامه بالعلم والتعليم، وحثه على العمل للجمع بين الحسنيين، خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة، ثم باتساع الأمصار الإسلامية وانتشارها، بدأت تباشير نهضة تعليمية دعامتها - في بداية الأمر - العلوم الدينية، ثم استتباط الأحكام الفكرية والفتاوي الشرعية إلى أن بدأ الاهتمام بالعلوم العقلية أو الكونية، كالطب والفلسفة والرياضيات وغيرها.

علي أنه مع عناية الإسلام بالعلم والمتعلمين، فإنه لم يفرق بين أجناس من يتعلمون أو يفاضل بين مستوياتهم الاجتماعية (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) إذ كان مبدأ

المساواة بين جميع المؤمنين هو الأساس الذي بنيت عليه معاهد العلم الإسلامية، وعلي ذلك لم يؤسس المسلمون معاهد خاصة أو كليات لمختلف الطبقات، بل كانت معاهدهم العلمية يحضرها الغني والفقير علي السواء، وكان الفقير يجد فيها كل مساعدة ممكنة إذ لم يكتف العرب بإنشاء المدارس في مختلف الأقطار الإسلامية، بل حسبوا عليها من الضياع والممتلكات ما يكفل بقاءها منار علم، ومنهل عرفان.

## 5- العوامل الجغرافية:

ونعني بها ما يتصل بالبيئة التي تعيش فيها الناس ونوعيتها من جبلية أو صحراوية، أو ساحلية أو زراعية، أو صناعية أو تجارية، ثم طبيعة هذه البيئة من جو ومناخ وتضاريس واقتصاد، وسهولة مواصلات أو وعورتها، وما يتضمنه موقعها الجغرافي من جيرة وأصدقاء أو أعداء... الخ وارتباط ذلك كله بالنظم السياسية والاجتماعية وكذلك بالنواحي الثقافية والفكرية والنفسية والتربوية بصفة عامة لأفراد المجتمع الذين يعيشون فيها، ويتضح أثر ذلك فيما يلي:

فقد كان صفاء السماء في مصر وخلوها من السحب والغيوم معظم أيام السنة، من دواعي اهتمام الفراعنة بالعلوم الكونية مثل علم الفلك إلي جانب اتخاذهم بعض كواكب السماء - وبخاصة الشمس - آلهة يعبدونها وكان أول من اشتغل منهم بالفلك كهان هليوبوليس الذين توصلوا إلي التقويم الشمسي (حوالي عام 4242 ق.م) وهو أول التقاويم المضبوطة في العالم منذ فجر التاريخ، وقد تفردت مصر في ذلك الوقت بهذا التقويم دون سائر أقطار الأرض، وفي هذا يقول هيرودوت: "إن المصريين هم أول من عرف السنة الشمسية، وقسموها إلي اثني عشر شهرا، وكانوا يجعلون لكل منها ثلاثين يوما ويزيدون علي هذا العدد خمسة أيام كل سنة، وبذلك تنتهي دوره الفصول عندهم بنفس التاريخ الذي بدأ به التقويم".

كذلك كان لطبيعة المناخ في البيئة المصرية، أثره في احتفاظ كثير من جثث قدماء المصريين بمعالمها الأدمية، فقد عثر علي بعضها (ويرجع إلي 4000 سنة قبل الميلاد) في بلدة البداري (بمحافظة أسيوط بصعيد مصر) وقد حفظها جفاف الرمال وحرارتها فأبق في أمعائها قشورا من حب الشعير.

وبطبيعة الحال، لم تكن هذه هي الطريقة الوحيدة التي استخدمها الفراعنة في الحفاظ علي جثث موتاهم فقد كان لإيمانهم بعقيدة البعث، أثره في حرصهم علي استخدام الوسائل التي تحقق ذلك وأشهرها التحنيط الذي لفت أنظار العالم لبراعتهم فيه.

وإذا اتجهنا صوب بلاد اليونان، نجد أن "اسبرطة" كانت تقع في منطقة وعرة في جبال البوليبيونيز، وكانت حياة الناس في بيئة جبلية كهذه تتطلب قوة الجسم والقدرة علي الاحتمال هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت علاقات اسبرطة

بجيرانها وما حولها علاقات مضطربة في معظمها، فقد فرضت سلطاتها علي المناطق القريبة منها، كما فرضت عليها الضرائب والجبایات، ومن ثم كان الخطر يهدد اسبرطة دائما (إلي جانب الحياة الاجتماعية التي تدعو إلي تمرد الأرقاء) ومن أجل هذا اتسمت التربية الاسبرطية بالخشونة والعنف بما يتلاءم والطبيعة القاسية وكرست جهودها في إعداد أجيال قوية تقف أمام أعدائها وتحميها من إغارتهم واتخذ حكام اسبرطة من الوسائل ما يحقق لهم ذلك، منها التدريبات البدنية والعسكرية الشاقة داخل المعسكرات، التقشف في الملابس إلي أبعد حد فلا يسمح للمواطن إلا بارتداء ثوب واحد في الصيف أو في الشتاء بالإضافة إلي عدم استعمال أغطية للرأس أو لبس شئ في القدمين، العقوبة علي الإفراط في الأكل بالجلد حتى لا يدعو الإفراط إلي السمنة وقصر القامة، عدم سفر الأسبرطيين إلي خارج اسبرطة أو الإقامة خارجها، حتى لا يتصل الأسبرطيون بالعادات والأفكار والنظم الاجتماعية الشائعة في البلاد الأخرى، عدم الاهتمام بالنواحي العقلية أو الثقافية أو الجمالية، النوم داخل المعسكرات علي فراش من القش الخشن الذي يقطعه الشباب بأيديهم دون استخدام آلة قطع، سحب العملة الذهبية أو الفضية والاستعاضة عنها بعملة من الحديد، ضخمة، وثقيلة وصغيرة القيمة حتى لا يفكر أحد في اكتناز المال.

تلك بعض تعاليم "ليكرجوس" في أمور التربية الاسبرطية.

أما "أثينا"، فهي ذات موقع جغرافي طيب، ومناخ معتدل قليل التغير، حيث تقع علي البحر الأبيض المتوسط، مما مكن لها الاتصال بالحضارات الشرقية والجنوبية لحوض البحر الأبيض المتوسط فاكنتسبت من هذه الحضارات الشئ الكثير إلي جانب طبيعة شواطئها المتعرجة الكثيرة بالخلجان والجزر، مما كان سببا في ازدهار الملاحة والتجارة عن طريق البحر.

كذلك أدي اختلاط الأثينيين بالغرباء خلال حروبهم إلي اكتسابهم الكثير من الخبرات وإلي جعلهم أكثر تسامحا في قبول الغرباء وتقبل آرائهم، كما أدي هذا الاختلاط إلي زيادة تجارتهم واتساعها عن طريق البحر.

وإذا أضفنا إلي ذلك، أن المجتمع الأثيني أشتهر بأنه كان أكثر ديمقراطية من المجتمعات اليونانية القديمة الأخرى، مما مكن لمختلف العلوم والفنون أن تزدهر، لأدركنا في ضوء هذا كله سبب تقدم أثينا عن غيرها من مدن اليونان، وبالتالي وجود كثير من أعلام الفكر والفلسفة والعلوم الطبيعية وفروع المعرفة المتنوعة.

## 6- العوامل الأثرولوجية:

ونعني بها العوامل التي تتصل بالأجناس البشرية وثقافة الإنسان، وتطورها عبر العصور، باعتبار أن المجتمعات البشرية لا تنتمي كلها إلي جنس واحد، بل هي خليط من أجناس متفاوتة في خصائصها وسماتها العامة، فمنها الصالح الأصيل -

كما يري البعض - ومنها دون ذلك، ومن المجتمعات ما يوجد به مجموعات وافدة أو مجموعات عنصرية إلي جانب المواطنين الأصليين، مما يكون له أثر في ثقافة الشعوب واتجاهات التربية في مجتمعاتها، بل أن البعض من المتطرفين يرون أن نوع الجنس البشري هو أهم العوامل الرئيسية في التقدم أو التخلف الاجتماعي، وقد وضح ذلك في بعض المجتمعات القديمة حيث كانت تقسم إلي طبقات: أرستقراطيين، مواطنين، أرقاء، أجانب إلي غير ذلك من تسميات متنوعة طبقا لظروف هذه المجتمعات، وقد انعكس هذا علي اتجاهات التربية، فقد كفلت فرص التعليم لسادة البلاد والمقربين إليهم بينما حرم منها السواد الأعظم من الشعب وبالتالي وجدت فئة قليلة من المتعلمين نتيجة لتلك النزعات العنصرية.

وبعد، فإن هذه العوامل القافية وغيرها تشترك في إحداث حركة تطور المجتمعات، وتكوين عمليات التربية بها، ولكنها تختلف في مدي تأثيرها كل بقدر فعاليتها.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه ليس من الضروري أن تؤثر تلك العوامل كلها في مجتمع واحد أو في كل المجتمعات، وإنما قد يؤثر بعضها في مجتمع ما، بينما يؤثر واحد منها فقط في مجتمع آخر، وهكذا وفقا لظروف كل مجتمع.

**مبشرات دراسة تاريخ التربية:**

ينبغي لمن يتصدي لتأليف كتاب تعليمي في تاريخ التربية أن يجهد له بالإجابة عن سؤال مؤداه: ما مبشرات دراسة تاريخ الفكر التربوي في تطوره عبر العصور؟ أو لماذا ينبغي لطالب التربية أن يعرف شيئا عن تطور النظرية التربوية أو ما الفائدة التي تترتب علي دراسته لتاريخ التربية؟

تقتضي الإجابة عن السؤال السابق أن ننظر إلي تاريخ الفكر التربوي كما نظر هيجل (1981) إلي التاريخ الإنساني باعتباره مسارا عقليا أو أن ننظر إليه من منظور نمائي، وهنا نستطيع أن نفيد من دراستنا للفكر التربوي في عصوره التاريخية علي أساس أن الفكر التربوي الراهن امتداد للفكر التربوي الماضي، يقول هيجل (74): "إذا لم تكن الفكرة الواضحة عن العقل قد تطورت بما فيه الكفاية في أذهاننا في بداية دراستنا للتاريخ الكلي (يريد تاريخ العالم) فلا بد أن يكون لدينا علي الأقل الإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع بأن العقل موجود في التاريخ، وأن عالم العقل والإرادة الواعية ليس نهيا للصدفة، وإنما لابد أن يتجلي في ضوء الفكرة الواعية بذاتها"، وبناء علي دراسته يستنتج قائلا (ص75): "إن العقل حكم العالم وما زال يحكمه وبالتالي يحكم تاريخ العالم"، فإذا كان تاريخ العالم تجليا للوعي وتعبيرا عن درجات الحرية كما يذهب هيجل فإن تاريخ الفكر التربوي يكون محكوما بالعقل والعقل ذو طبيعة واحدة وبالتالي نستطيع أن نفيد من الفكر التربوي في العصور

المختلفة باعتباره تعبيراً عن الفكرة الواعية بذاتها ولا يختلف العقلاء علي أحكام العقل مهما تباينت أزمانهم أو أوطانهم، ويعبر محمد منير مرسي (1983) عن المنظور النمائي في فهم التاريخ بقوله (ص17): "فالماضي ليس شيئاً ميتاً أو عفا عليه الزمان، بل إنه يعيش ويمتد في عالمنا يؤثر فيه ويحركه ويوضحه ويفسره وقد يتحكم فيه، ذلك أن حاضر اليوم هو ماضي الغد ومستقبل الأمس، فالماضي والحاضر والمستقبل إذن وحدة عضوية"، وإستناداً إلي هذا الفهم نستطيع أن نقول إن فكرنا التربوي وممارساتنا التربوية ليست تعبيراً عن عصر واحد من الأعصار التاريخية وإنما هي تعبيرات عن عصرنا وبقايا عصور تاريخية سبقت عصرنا، فكل فترة تاريخية أسهمت علي نحو من الأنحاء في فكرنا وممارستنا سواء أكان هذا الإسهام حسناً أم رديئاً، ومن ثم تكون الرؤية الصائبة للحاضر والمستقبل معتمدة علي الفهم الدقيق للماضي والتفسير الذكي للتاريخ، ولا نستطيع أن نطور نظامنا التعليمي إلا إذا عرفنا عدة أمور تتعلق بالماضي مثل كيف تؤثر ظروفنا الفيزيائية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية في فلسفة حياتنا، وكيف تؤثر فلسفة حياتنا في حاجتنا التربوية، وكيف تؤثر حاجتنا التربوية في مفهومنا عن التربية، وكيف يؤثر مفهومنا عن التربية في أهدافنا التربوية ومحتوي برامجنا التعليمية وطرق التعليم المستخدمة، وهكذا يكون الماضي مقدمة ضرورية لفهم الحاضر والمستقبل.

إن الفهم الأوفي لتاريخ الفكر التربوي يشتمل علي أكثر من مجرد معرفة الممارسات التربوية التي اتبعتها شعب من الشعوب لأن الممارسة تتخلف أحياناً عن النظرية، إن اكمل صورة لتربية شعب من الشعوب توجد في مثله العليا وطموحاته العقلية والخلقية والجمالية، وبالتالي ينبغي أن نفهم كيف فكر الناس في التربية، وماذا كانت مثلهم العليا، وكيف صاغوا أفكارهم ونظرياتهم التربوية، ولما كانت التربية وسيلة للتعبير عن المثل العليا والأهداف والطموحات كان ضرورياً أن ننفق وقتاً في تقويم تلك المثل والأهداف والطموحات، يقول محمد منير مرسي (1983، ص17): "إن تاريخ التربية يوقفنا علي تجارب الإنسانية وخبراتها وتجاربها، ويكشف لنا عن المثل العليا للشعوب وآمالهم الكبار، ويوضح لنا اختلاف الممارسات التربوية واختلاف أسسها وفلسفاتها واتجاهاتها" ويضيف قائلاً: "إن التاريخ التربوي هو خلاصة تجارب الإنسانية وخلاصة كفاحها علي مر العصور في مختلف المجتمعات من أجل الارتقاء بالجنس البشري وتقدمه" وبالتالي تتمثل وظيفتنا كمربين في قراءة المثل العليا للشعوب ودراسة ممارساتها التعليمية لكي تساعدنا في تحقيق أهدافنا وتقويم ممارساتنا التربوية التي سوف تصبح بعد قليل تاريخاً ينضاف إلي الرصيد الإنساني، ويعين علي ترقيته وتقدمه، إن دراسة تلك الأبعاد المختلفة لتاريخ التربية

ذات أهمية معرفية ومهنية تعين معلمي المستقبل علي تعميق مفهومهم المهني للعملية التعليمية، ولقد حاول بعض الفلاسفة والمربين بيان أهمية دراسة الأصول التاريخية والفلسفية للتربية باعتبارها مكونا أساسيا في برامج إعداد المعلمين تذكر منهم جيمس مولهرن (1936) Mulhern) والمير هاريون وايلدز (1942) Wilds) وسعد مرسي أحمد (1986) وسيد إبراهيم الجيار (1974) ومحمد منير مرسي (1983)، والشئ الجدير بالذكر هو أن تلك المحاولات كانت مقتضبة ولا تعين القارئ علي الإمساك بالدلالة الحقيقية أو إدراك الأهمية النسبية لتاريخ الفكر التربوي في تطوره عبر العصور،

وفيما يلي يحاول كاتب هذه السطور جلاء مبررات دراسة تاريخ التربية وينميها بالقدر الذي يعين علي الفهم الحقيقي معتمدا علي المحاولات السابقة في الميدان ومستعيرا بعض أفكارها وعباراتها علي النحو التالي:

### 1- دراسة تاريخ التربية تعين علي تقويم الأفكار والنظريات التربوية:

تعيننا دراسة تاريخ التربية علي تقويم الأفكار والنظريات التربوية التي انحدرت إلينا من الماضي وبالتالي نقبل الصالح ونرفض الطالح، إن كثيرا من الأفكار التربوية التي نشأت في الماضي ما توال قائمة تؤثر في سلوكنا التربوي في الوقت الحاضر، ففي جميع الأعصار التاريخية ابتكر الناس أفكارا تربوية أو استعاروها من مدنيات سابقة وكان بعض تلك الأفكار مناسبة لتلك الأعصار ولم يعد مناسباً لنا الآن أو فقد كثيرا من أهميته وفائدته علي أقل تقدير، إن أفكارا مثل ترك الوليد في العراء اختبارات لقوته، وأفكار روسو عن التربية السلبية، وأفكار لوك عن التصليب والتسليم بقيمة العقاب البدني وغيرها أفكار تربوية خطيرة لا ينبغي أن تؤخذ علي علاقتها دون دراسة وتمحيص ونقد، إن الأفكار التربوية الخاطئة أو الخطرة أو غير المختبرة، والأهداف التربوية غير الخلقية أو مستحيلة التحقيق والممارسات التربوية الخاطئة أمور ينبغي التخلص منها، أما الأفكار والنظريات والممارسات الصائبة أو الجيدة أو المفيدة فيجب الاحتفاظ بها والإفادة منها وإضافتها إلي رصيدنا التربوي ولا نستطيع البلوغ إلي تلك الغايات إلا من خلال دراستنا لتاريخ التربية.

### 2- دراسة تاريخ التربية تعين علي إعداد معلمين أكفاء:

إن دراستنا لتاريخ التربية تعيننا علي أن نكون معلمين أكفاء قادرين علي تبرير أفكارنا ومعتقداتنا واختيار ممارساتنا التعليمية فليس عسيرا أن يصبح الإنسان ممارسا تقليديا لحرفة أو مهنة من خلال اكتسابه لفنيات العمل المطلوب في حرفته أو مهنته ومعظم المعلمين مدربون علي آليات عملهم ولكنهم غير مستعدين للتفكير فيما يؤديه من أعمال أو ممارسات، إنهم غير قادرين علي تبرير معتقداتهم وأفعالهم

وبالتالي لا يؤدون عملا جيدا في تربية الناشئة، إن اختلاف المربين علي كل أمر ذي بال في التربية يدفعنا إلي إعداد معلم قادر علي التفكير لنفسه لإتخاذ قرارات يكون قادرا علي تبريرها، إن معرفة كيف تؤدي الأعمال أسهل بكثير من معرفة لماذا تؤدي، ولا تخلو حقه تاريخية من مفكرين حاولوا التفكير في ماذا نعلم وكيف نعلم ولماذا نعلم، وصاغوا فلسفات تربوية تشتمل علي خلاصة فكرهم وتجربتهم، إن دراسة الفكر التربوي لأمثال هؤلاء المربين تدفع طالب التربية إلي التفكير لنفسه كما فكروا لأنفسهم واتخاذ القرارات المناسبة وتقدير الظروف والملابسات المرتبطة بالمواقف المهنية والتعليمية الراهنة.

### 3- دراسة تاريخ التربية تقدم العظة والعبرة:

إن دراستنا لتاريخ التربية تقدم لنا العظة والعبرة والمادة الخام التي نفكر فيها فكرا تربويا مبدعا، بل إن الهدف النفعي الذي يتمثل في استخلاص الدروس والعبر والعظات من أظهر المبررات التي يذكرها المؤرخون لدراسة التاريخ بصفة عامة. ولا ينازع كاتب هذه السطور في الأهمية النفعية لدراسة الحقب التاريخية شريطة ألا تكون معرفة الحقائق والوقائع والأفكار أكبر همنا، فالأفكار والممارسات التي تستحثنا علي التفكير وتدفعنا إلي أعمال العقل وإتخاذ القرار المناسب أفضل من معرفة الحقائق الماضية والأفكار الجاهزة، إن علينا أن نفكر لأنفسنا، ولقد تحدث عظماء المربين عن الأفكار والممارسات التربوية السائدة في عصورهم وفسروها وقاسوها علي حاجاتهم التربوية، ونستطيع من خلال دراستنا لفكرهم استمداد المواد الفكرية والمقترحات التي تجعلنا نفكر كما فكروا، وليس الفكر التربوي الجاهز أفضل ما نحصل عليه من دراستنا لأفكار قدماء المربين بل ما يستثيره فكرهم من فكر، فليس مهما ما قاله سقراط للأثينيين ولا ما قاله روسو للفرنسيين ولا ما قاله أوغسطين للنصارى ولا ما قاله الغزالي للمسلمين، ولكن المهم هو ما يقولونه لنا الآن من خلال ما يثيرونه فينا من التفكير في مشكلاتنا التربوية الراهنة والعمل علي تنمية فكرنا التربوي، وبذلك تكون الأفكار أو النظريات والممارسات التربوية الماضية خامات نفيذ منها في صياغة فكرنا التربوي المبدع.

### 4- دراسة تاريخ التربية تجعلنا تقدميين:

تعيننا دراسة تاريخ التربية علي تجنب الصيحات التربوية ضيقة الأفق ونوسع من نطاق فكرنا التربوي بحيث يناسب إتباع الطبيعة الإنسانية وتعمقه عمق الحياة البشرية، والمتصفح لتاريخ التربية يجده حافلا بدعاوي ضيقه كالأهتمام بالفعل وحده أو الجسم وحده أو القلب وحده أو إغفال الحياة الاجتماعية أو الغلو في تقدير فعالية طريقة تعليمية الخ، ومن السهل أن يقبل الناس تلك المفاهيم الضيقة للتربية التي تحظى بتأييد عدد كبير وبالتالي يتجاهلون المفاهيم الأرحب للتربية، إن دراسة مفاهيم

التربية التي تمت عبر العصور وملاحظة تغير مراكز الاهتمام التي حظيت بها أجزاء معينة من التربية، وتغير الأفكار والنظريات التربوية تعيننا علي إدراك المعني الحقيقي للتربية وتعرفنا بالتقاليد التربوية البالية والتحيزات الضيقة وتعلمنا ماذا نقبل أو نرفض وماذا نأخذ منها أو تدع، إن دراستنا لتاريخ التربية تجعلنا نمسك بأهداف فلسفية تربوية تركيبية واسعة اتساع الطبيعة وعميقة عمق الحياة، وبالتالي نصير تقدميين ونصبح قادرين علي إحداث تقدم حقيقي في التربية.

## 5- دراسة تاريخ التربية تنمي قيما إيجابية:

إن دراستنا لتاريخ الفكر التربوي وإطلاعنا علي حياة المفكرين والمربين تنمي فينا اتجاهات إيجابية كالصبر والتواضع ونكران الذات، تلك الصفات التي يكاد يخلو منها شباب المعلمين؛ فهم في العادة متحمسون ومتسرعون ومتعصبون ولا يقبلون معارضة لأرائهم وأفكارهم وبالتالي يسهل تثبيط همهم ونقص أهدافهم وتعويق جهودهم، إن دراسة أمثال هؤلاء الشباب لتاريخ التربية تعلمهم أن الأفكار الجديدة تلقي معارضة شديدة، وأن آراء المجددين لا تقبل إلا بعد وفاتهم، ومن خلال دراسة تاريخ الأفكار يتصرف القارئ علي مبلغ ما عناه العلماء والمفكرون والمربون والفلاسفة من اضطهاد وتعذيب وسجن وإعدام.

إن ما حدث لسقراط والسيد المسيح ومارتن لوثر وروجرز بيكون وابن رشد وأبي عمرو ابن العلاء ومالك بن أنس وابن حنبل والقاضي شريك وغيرهم شاهد علي ما تعرض له المجددون من عنف في مختلف العصور، ولقد أورد محمد العزب موسي (1979) في كتابه "حرية الفكر" أمثلة كثيرة من حياة هؤلاء الفلاسفة والمربين والعلماء والمصلحين تعلم الصبر ونكران الذات، وكثيرا ما تفيد دراسة تاريخ الفكر في تعليم المعلمين التواضع ونكران الذات من خلال ما تنتيحه لهم من فرص يكتشفون فيها أن أفكارهم ليست جديدة كل الجدة وأن لمعظم الأفكار أو الممارسات الجديدة أصولا قديمة.

## 6- دراسة تاريخ التربية مدخل لفهم الحضارات والمدنيات:

الدراسة الحقة لتاريخ التربية يجب أن تكون دراسة لما يمكن أن نسميه بتاريخ الحضارة أو المدنية، فالممارسات التعليمية والأفكار والنظريات والمؤسسات التربوية جزء من تاريخ المدنية، إن الحضارات والمدنيات لا تقوم بإنجازاتها المادية وإنما بمثلها وأهدافها وطموحاتها، ومن خلال معرفتنا للمفاهيم والمثل العليا لشعب من الشعوب نستطيع الحكم علي مستواه الحضاري ودرجة رقيه وتقدمه، إن هناك علاقة متبادلة بين المستوي الحضاري لشعب من الشعوب ودرجة نضوج نظامه التعليمي وكفاءة مؤسساته التعليمية وغير التعليمية، ومعرفة شئ عن المستوي الحضاري لأمة من الأمم علي معرفة الكثير عن مستواها التعليمي والعكس بالعكس

في الأغلب والأعم، إن عمليات الفكر الإنساني تتحدد بالمواقف التي يعيشها الإنسان ومع التقدم في الحضارة يكون تقدم الأفكار التربوية ومع تقدم الفكر التربوي تتقدم الحضارات والمدنات.

#### 7- دراسة تاريخ التربية تعين علي فهم محاولات الإصلاح:

إننا لا نستطيع أن نفهم النظريات التربوية في استقلال عن الإطار الفلسفي والاجتماعي العام لشعب من الشعوب، وبالتالي لا بد من معرفة الأفكار الفلسفية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية لما لها من صلة وثيقة بالتربية، وغالبا ما ترتبط النظرية التربوية في نموها وتطورها بنمو النظريات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وتطورها، كما أن العلاقة وثيقة بين التربية والإصلاح الاجتماعي والسياسي والديني والاقتصادي وغالبا ما يعتمد المصلحون الاجتماعيون علي المؤسسات التعليمية في الترويج لأفكارهم وإعداد جيل جديد يسير علي مبادئهم وفلسفاتهم الجديدة، ومن أظهر الأمثلة علي الارتباط بين محاولات الإصلاح الاجتماعي والتعليم ما أولاه قادة الاتحاد السوفيتي بعد الثورة من اهتمام بالتعليم وتحويلهم علي المؤسسات التعليمية في نشر مذهبهم الجديد وبناء المواطن السوفيتي المؤمن بالماركسية فلسفة وعقيدة وفكرا وسلوكا، هذا فضلا عن أن المقاومة التي يصادفها المصلحون لمبادئهم في تعاملهم مع الكبار تدفعهم إلي توجيه اهتمامهم إلي الصغار استنادا إلي فهم مؤداه أنه لو أمكن توجيه الأطفال والشباب الوجهة الصحيحة أصبح الإصلاح ممكنا والتغير ميسورا.

#### 8- دراسة تاريخ التربية تستهض الهمم لاستكمال محاولات الإصلاح:

إن دراسة تاريخ التربية تستحثنا علي استكمال محاولات الإصلاح التي عجز المصلحون في الماضي عن إكمالها، ففي كثير من الأحيان يموت المربي أو المصلح قبل أن توضع خطته وأفكاره موضع التنفيذ، إن هؤلاء المربين أو المصلحين كانوا يحلمون بأوضاع أفضل وممارسات أكفأ ولم تتحقق أحلامهم لانقطاعهم قبل بلوغها، ومن حق هؤلاء علينا أن نكمل محاولاتهم ونحقق آمالهم لأنهم كانوا أسبق من عصرهم ولم تكن ظروفهم مواتية، وقد تكون ظروفنا أفضل ووسائله أنسب لتحقيق آمالهم، إن علينا أن نمسك بالمصباح الذي سقط من أيديهم ونكمل المسيرة، وتاريخ التربية زاخر بأمثلة من هذا النوع، ولعل المشروع الحضاري الذي بدأه المرحوم زكي نجيب محمود ينتمي إلي تلك الفئة من مشروعات الإصلاح غير المكتملة التي توجب علينا بذل الجهد تحقيقا لأهدافه الإصلاحية غير المكتملة.

#### 9- دراسة تاريخ التربية ذات فوائد عقلية وأكاديمية:

ذكرنا فيما مضى عددا من المبررات العملية لدراسة تاريخ التربية، ونوجه الآن الانتباه إلى الأهمية العلمية والأكاديمية لتاريخ التربية، فطالب التربية يستمد لذة عقلية من دراسته لحضارات الشعوب المختلفة ومن تعرفه علي أحوال الأمم السابقة. يقول هيجل (1981، ص137): "لو أننا ألقينا نظرة علي تاريخ العالم بصفة عامة لرأينا مشهدا هائلا من التغيرات والأفعال وأشكالا متعددة من الشعوب والدول والأفراد في تعاقب مستمر لا ينقطع، فيمكن للمرء أن يجد فيه كل ما يمكن أن يتغلغل في النفس البشرية ويثير اهتمامها كل إحساسنا بالخير والجمال والعظمة"، فالتغيرات التي تطرأ علي الشعوب والدول والأفراد تدفع دارس تاريخ التربية إلي التأمل وتستنير في ذهنه أفكارا تتعلق بأسباب التقدم والرفي والأفول والذبول، وقد توقعه علي أهداف الشعوب والأفراد وطرائقهم في السعي من أجل تحقيقها، وتتيح له فرصا كثيرة للحكم علي تلك الأهداف والوسائل كما تتيح دراسة تاريخ التربية اختيار بعض الفروض ذات الأهمية العلمية والأكاديمية مثل قولنا إن العبقورية توجد في كل مكان وفي ظل أي نظام أو القول بأن الفضائل الخلقية توجد لدي الشعوب المتحضرة والهمجية وغيرها، كما تتيح دراسة تاريخ التربية فرصا لعقد مقارنات بين الأنظمة التعليمية والعلوم والفلسفات الشرقية والغربية والملاحم الهندية واليونانية الخ مما يمكن أن يؤدي إلي نظرات علمية ثابتة ويحقق التنمية العقلية للدارسين.

### منهجنا في دراسة تاريخ التربية:

استهدفنا من خلال إيراد الأجزاء السابقة أن نثير التحدي عند طالب التربية وندفعه إلي التفكير المستقل والتفكير النقدي في المفاهيم والمصطلحات والأفكار والمبررات ونشجعه علي تقدير الآراء المختلفة وتقويم الممارسات والمفاضلة بين الطرق المختلفة والأساليب المتباينة في البلوغ إلي الأهداف التربوية، إننا نحاول أن نجعل الطالب مفكرا نشطا يناقش مختلف المسائل التربوية بحيدية وعقلانية فلا يؤثر القديم لقدمه ولا يغير الحديث لحدثه وإنما يفكر ويتأمل ويدرس ويقرر ويبرر. وفي دراستنا لاتجاهات التربية في الحضارات القديمة والحديثة سوف نناقش الأهداف والمثل التربوية ونحدث عن أنواع التربية ومحتواها والمؤسسات التعليمية الرسمية وغير الرسمية وطرق التعليم آخذين بالإطار النظري الذي قدمه أمر وايلدز (1944) في كتابه "أصول التربية الحديثة"، الذي ترجمه محمد سمير حسانين في صورته المعدلة سنة (1977)، وسوف نفرّد مساحة لمناقشة أفكار بعض المربين الذين يمثلون الحضارات محل الاهتمام، وفي مناقشاتنا لاتجاهات التربية لدي الشعوب البدائية سوف نعتمد علي ما يزودنا به علماء الآثار ورجال الأنثروبولوجيا والأنثولوجيا والمؤرخون من بيانات ومعلومات، وفي جميع الأحوال سوف نعتمد

علي الكتابات الأصلية للفلاسفة والمربين الذين عاشوا في الحضارات المختلفة والقوانين والدساتير والقرارات الرسمية التي يمكن العثور عليها، وسوف تعني بمعرفة تأثير الظروف الفيزيائية والبيئات الجغرافية وتركيب السكان في الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الحضارات المختلفة، ومعرفة انعكاسات تلك الظروف والبيئات علي فلسفة حياة الناس وحاجاتهم التربوية وتأثير كل أولئك في أهداف التربية ومحتواها ومؤسساتها وطرق التعليم المتبعة، ومعني ذلك أن دراستنا لتاريخ التربية لن تكون سردا للوقائع والأحداث وإنما بالأحري دراسة تحليلية تركيبية لفكر تربوي ارتبط بظروف معينة ندرسه بهدف جلائه وتفسيره والتفكير فيه والإفادة منه.

## الفصل الثاني

### الفكر التربوي في المجتمعات البدائية

## أولاً: التربية والمجتمعات البدائية:

وجدت التربية بوجود الإنسان منذ فجر التاريخ فهي لصيقه بحياته، حيثما وجد، وكيفما عاش، كضرورة لاستمرار حياته، تمكنه من إشباع احتياجاته الأساسية، وتمكنه من الحفاظ علي حياته، لقد فرضت طبيعة الحياة البدائية البسيطة أن تتم التربية وتحدث في واقع الحياة مباشرة، أي تتم بطريقة غير مقصودة، بمعنى أنه لا يوجد فرد بعينه يتولي أمر التربية، ولا توجد أهداف مخطط لها مسبقاً، ولا توجد مؤسسات متخصصة، إنما الحياة كلها هي نمط التربية، والكبار هم المعلمون والمربون، حيث كان الأطفال يقلدون ويحاكون الكبار في أنشطتهم وممارساتهم الحياتية يومياً أثناء القنص والصيد، وجمع الطعام، والاختفاء أو الاستقرار في أماكن توفر لهم الوقاية من هجوم الحيوانات أو العوامل الطبيعية التي تعرض حياتهم للفتن، وجمع أدوات ثم تشكيلها لاستخدامها كأسلحة تساعد في القنص والصيد والدفاع عن حياتهم أي صناعة الأسلحة، وكذلك ممارسة شعائر وطقوس، من خلال عمليات تقليد ومحاكاة لسبل العيش، واكتساب الخبرات والمهارات من الكبار للصغار بطريقة تلقائية، وبهذا كانت التربية في المجتمعات البدائية مرادفة للحياة، وبالتالي كانت أهداف التربية، هي أهداف تلك الحياة، لقد كانت احتياجات الإنسان ومتطلبات الحياة لا تعدو إشباع حاجات الجسم من طعام وشراب وإخراج، وكساء ومأوى، بجانب ذلك، اعتقاد الإنسان البدائي بوجود قوي خفية غير مادية، تقف خلف القوي المادية، هي القوي الروحية، واعتقد بوجود استرضائها حتى يأمن من شرها، فابتدع طقوساً تحقق له الأمن والسلامة منها، فمذ عصور ما قبل التاريخ والناس علي وعي بالقوي الروحية التي يعتمد عليها وجودهم، فالحس الديني جزء أساسي في تكوين الإنسان ولكنه يوجد بدرجات متفاوتة عند الناس جميعاً.

## ثانياً: مكونات التربية في المجتمع البدائي:

ويمكن القول إن التربية البدائية تكونت من عمليتين: الأولى شكلت الناحية العملية للتربية، والثانية شكلت الجانب النظري، وتبلورت العمليتان في:

- إعداد أبناء وأفراد الجماعة للحصول علي ضروريات الحياة، من مأكّل ومشرب وملبس ومأوى، وتمكينهم من الاعتماد علي أنفسهم، وإقامة علاقات طيبة مع أفراد الجماعة أو القبيلة.
- تدريب الفرد علي ضرورة العبادة التي بواسطتها يرضي عالم الروح، ويثير إرادتها الطيبة ليحقق لنفسه ولجماعته الأمن والسلامة.

وباعتماد التربية البدائية علي احتكاك الصغار بما تعلمه وتعمله الجماعة، فقد اعتمدت تارة علي التلقين والتدريب، بالأوامر والنواهي، وتارة أخرى بالاشتراك النشط في كل مناسط الحياة مباشرة، وعند انتقال الأطفال إلي حياة الرجولة أو

مرحلة النضج كانوا يمرون بسلسلة من التدريبات لمعرفة أسرار القبيلة، والآليات الضرورية لكي يلتحقوا بعضوية الكبار في الجماعة أو القبيلة أو العشيرة، وبذلك ينمو النشء الجديد بصورة تلقائية وسط الجماعة، ويتطبع بقيمتها وأنماط سلوكها، أما عن نظام الأسرة والنظم العائلية في المجتمعات البدائية يمكن القول إن نطاق الأسرة كان واسعا فيها كل السعة، وذلك لأن الأسرة في هذه المجتمعات كانت تشمل جميع أفراد العشيرة، فلم يكن لديهم فرق بين أسرة وعشيرة، وكان جميع أفراد العشيرة الواحدة يرتبط بعضهم ببعض برابطة قرابة متحدة الدرجة.

ولم تكن هذه الرابطة قائمة علي صلوات الدم، كما هو الشأن في حياتنا المعاصرة، وإنما كانت قائمة علي أساس انتماء الأفراد لتوتم واحد، والتوتم عبارة عن نوع من الحيوان أو النبات تتخذة العشيرة رمزا لها، ولقبا لجميع أفرادها، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية، وتعتبره وتعتبر الأمور التي ترمز إليه شيئا مقدسا، وقد يكون التوتم هو المطر أو الشمس أو القمر أو الماء أو النار ... إلخ، فانتفاء مجموعة من الأفراد لتوتم واحد يجعلهم أفراد أسرة واحدة، ويربط بعضهم ببعض قرابة متحدة في درجتها وقوتها، فلم تكن درجة القرابة التي تربط الولد بأبويه أو بأحدهما لتزيد شيئا علي درجة القرابة التي تربطه بأي فرد آخر من أفراد عشيرته، بل لقد كان يعتبر أجنيا عن أحد أبويه أو عن كليهما إذا قضت النظم المتبعة بانتماؤه إلي عشيرة أخرى غير عشيرة أحدهما أو غير عشيرتهما.

أما عن الثقافة في الفكر البدائي فترتبط بكل من الأرض والعشيرة وجماعة الدم، وبهذا ينتمي الدين بما يشمله من أساطير وفولكلور إلي التربية ويقتصر عليها، وبهذا تصبح الآلهة آلهة قبيلة تماما ككل أساليب وأنماط الحياة التي تكتسب نفس الصيغة أو هذا هو ما يطلق عليه الامتزاج البدائي.

**ثالثا: النظام التربوي في المجتمع البدائي:**

**أ- المبادئ والأسس:**

ويري البعض أن مبادئ وأسس النظام التربوي في المجتمعات البدائية تتمثل

**فيما يلي:**

- التربية التطبيقية في المجتمع هي الحياة نفسها والتي يتم ممارستها منذ الطفولة علي أساس من الملاحظة والتقليد لكل الأنماط السلوكية التي يمارسها الكبار في العشيرة أو القبيلة.

- تتركز النظرة إلي الطفل علي أنه رجل صغير عليه أن يياشر ما يياشره الكبير في الحدود التي تتيحها له قواه الجسمية بصرف النظر عن مستوي إدراكه.

- يقوم الكبار بدور المعلمين في المدرسة ولكن من خلال ممارسة الحياة نفسها ورغم أن التربية تتم في معظم مراحلها تلقائية.

- لا يمكن الفصل بين النظام التربوي التطبيقي في العشيرة أو القبيلة والنظم البنائية الأخرى كالنظام السياسي والاقتصادي والعائلي، فليس النظام التربوي إلا الأسلوب أو الأساليب المختلفة التي يتاح للفرد من خلالها استيعاب وممارسة النظم البنائية أي أن وظيفة النظام التربوي تتأكد في تأهيل الفرد لاستيعاد أنماط العلاقات من خلال ممارسة الآليات الاجتماعية في البناء الاجتماعي ككل، ويقصد بالبناء الاجتماعي مجموعة الطرق والأساليب المختلفة التي ينظم بها الأفراد والجماعات حياتهم الاجتماعية ومن خلالها تتحدد وظائفهم في المجتمع.

- النظام التربوي في المجتمع البدائي يتضح من خلال حاجة الشخص في المجتمع البدائي لتعلم شيء ما يتفق جميع أفراد المجتمع علي تعلمه.

- في التربية البدائية يسهم الطفل البدائي منذ صغره في الحياة الاجتماعية.  
**ب - أهداف التربية:**

لا يمكن القول بأن المجتمعات البدائية كان لديها أهدافا للتربية أو ما يسمى بالأهداف المقصودة، فالإنسان البدائي لم يكن علي درجة كبيرة من التأمل والتفلسف بحيث يضع لنفسه أهدافا تربوية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو حتى حياتية بشكل عام، وبالرغم من ذلك يمكن القول إن أهدافه كانت تتمثل في إشباع احتياجاته الأساسية والحفاظ علي حياته، وبالرغم من ذلك فإن هذه الأهداف كانت ملزمة، وهدفه الأساسي كان تحقيق الأمن والطمأنينة ولم يكن عبدا لحاجاته البيولوجية فقط، بل أيضا لمخاوفه من المجهول، إن النار والبرق والعواصف أثارت عنده مشاعر الخوف والرعب وكانت باعثا علي الكثير من نشاطه، لقد خاف من كل ما يحيط به من جماد فخلع عليه الحياة واعتقد أنه مظاهر لقوي غامضة وأن بعض هذه القوي قادرة علي تدميره وإيقاع الأذي به وأنه ينبغي استرضائها أو خداعها أو إبعادها، وحتى يكون في مأمن من هذه القوي عمل علي التوصل إلي كل الأساليب المحتملة لمصالحتها والوفاق معها من خلال حفلات وطقوس سحرية، إن تحقيق الأمن ضد هذه القوي كان الهدف الأساسي لمثل هذه الطقوس والشعائر والمحرّمات والقيود التي فرضها مجتمع الكبار علي مجتمع الصغار، ولذلك لم يدخر مجتمع الكبار جهدا في أن يورث مجتمع الصغار أنماط السلوك التي تأكدت فاعليتها في مواجهة قوي الطبيعة المعادية.

وكان هذا هدفا رئيسيا للتربية في المجتمعات البدائية، أما الهدف الثاني للتربية فكان التكيف مع الجماعة لأن التكيف كان شرطا أساسيا وضروريا للأمن الاجتماعي، إن الخوف من الموت والشعور بالخطر هو السبب الرئيسي الذي دفع أفراد المجتمعات البدائية إلي مجتمع في أسر وعشائر وقبائل، ومع هذا التجمع جاءت مشكلة الحياة الاجتماعية وهي التكيف، إن تأهيل الفرد وإعداده للحياة في

جماعة معينة كان جزءاً أساسياً من تربيته، إذ كان من الضروري للفرد أن يحقق هذا التكيف من أجل صالحه الشخصي ومن أجل سلامة الجماعة، وفي البداية تمت عملية التكيف دون هدف شعوري مقصود يستند إلى تفكير أو نظرية فلسفية معينة، فعندما أخذ الأفراد يتجمعون في عشائر أو قبائل، كضرورة من ضروريات البقاء، نشأ التشابه بينهم لتحقيق أكبر قدر من الأمن والطمأنينة، وإشباع الاحتياجات الأساسية، كما أن رضا الجماعة أو سخطها كان يمثل قوة كافية للضغط على الفرد للبقاء في الحدود التي تفرضها ثقافة المجتمع وبدون تخطيط أو جهد مقصود أصبح التجمع قوة تربوية تدفع كل فرد نحو الوحدة والتوافق مع الجماعة، وحين يحقق الفرد لنفسه الآليات والمستويات والعادات والتقاليد والطقوس التي ارتضتها الجماعة فإن تربيته تكون قد اكتملت.

وعندما أصبح الإنسان أكثر إدراكاً لأهداف التربية، فقد استمر بطريقة شعورية ومقصودة يؤدي ما كان يقوم به من قبل بطريقة طبيعية، أي مساعدة الصغار بإعدادهم للتكيف مع البيئة المادية والروحية من خلال ما اتفقت عليه الجماعة من قبل من أساليب العمل والعبادة والسلوك، وهكذا نجد أن هدف التربية، بوجه عام، كان مساعدة الفرد على أن يصبح جزءاً متكاملًا مع الثقافة التي ينتمي إليها.

### ج - مضمون التربية:

تميز محتوى التربية بأنه بسيط ومباشر وبدون وسائل أو أدوات وقد اعتمد تدريب الصغار وإعدادهم للحياة على ثلاث عمليات رئيسية هي:

- الإعداد التطبيقي الضروري لإشباع الاحتياجات الأولية من مأكّل ومشرب وإخراج وملبس ومأوي.

- الإعداد الروحي الذي يمكن الفرد من مواجهة وتفسير ما يواجهه من أشياء غير مرئية والذي يرضي عالم الأرواح وإثارة إرادته الطيبة فيتحقق لهم الأمن والطمأنينة ويحفظهم من الموت.

- اكتساب المعرفة الاجتماعية المرتبطة بالممارسات الحياتية اليومية الخاصة بالعادات والتقاليد والمحرمات وما يفرضه المجتمع من قيود ومحرمات وغيرها مما يحقق للفرد التكيف مع أعضاء جماعته.

### د - أساليب التربية:

لم تعرف المجتمعات البدائية المدارس والصفوف الدراسية والكتب المدرسية، لذلك كانت تربية الصغار تتم عن طريق التجربة والمشاركة في أنشطة الكبار والتقليد والمحاكاة والتلمذة على الحياة نفسها، فعن طريق ملازمة ومصاحبة الكبار وتقليدهم يستطيع الصغير أن يتعلم مهارات الفنص والصيد والقتال، وكذلك تستطيع الفتاة أن تتعلم من النساء الأكبر منها وما يرتبط بالنساء، وجميع الصغار يراقبون ما

يرضي عنه المجتمع فيقومون بعمله وتكراره، كما أنه يشعرون بما يوجه إليهم من لوم أو عقاب إذا ما عملوا أعمالا اعتبرتها القبيلة أو العشيرة خارجة عن المألوف أو تعرض حياتهم للخطر أو لا تحقق إشباع احتياجاتهم الأساسية، بذلك تكونت لديهم العادات والتقاليد والطقوس والمعايير التي يباركها المجتمع ويرضي عنهم فيقوموا بتكرارها، كما يبتعدون عن تكرار الممارسات الحياتية التي تفرضها الجماعة لنتائجها المؤلمة غير السارة أو عدم نجاحها في إشباع احتياجاتهم الأساسية.

#### هـ - خصائص التربية:

مما سبق يمكن القول إن خصائص التربية في المجتمعات البدائية تتمثل فيما

يلي:

1- تميزت عملية التربية بالتوزيع أي أنه ليست هناك مؤسسات أو هيئات مسؤولة مسؤولة أولي أصيلة عن عملية التعليم، وإنما يقوم بها شيخ القبيلة يعلم الناس، ويقوم بها كاهن القبيلة ويقوم بها رب الأسرة وال كبار بوجه عام، كما تقوم بها القبيلة أو العشيرة أو الجماعة أي يقوم بها المجتمع في مختلف مناسباته وظروفه.

2- التربية البدائية متدرجة مرحلية بشئ من التقليد والتعميم ... أي أن الطفل في مراحل حياته المختلفة ينتظر منه أن يصل إلي مستويات معينة في مرحلة عمرية معينة فهي متدرجة طبقا للسن والنمو البدني فينتظر من الطفل في سن السابعة مثلا أن يقود الجمال إلي المرعي ولا ينتظر منه لأن يوردها مورد الماء وقد ينتظر منه أن يكون قادرا علي حمل السيف أو الخنجر بمجرد بلوغه سن البلوغ بغض النظر عن قدراته الفردية.

3- التعليم في المجتمعات البدائية قائم علي التقليد والمحاكاة والممارسة، وبذلك يكون نمط الحياة في القبيلة هو محور العملية التربوية وأبعادها، ولذا ما يكون مألوفاً لفرد يأخذه كما هو دون أي تغيير.

4- التعليم في المجتمعات البدائية يتميز بالقابلية، ليس فيه عنصر الفاعلية، أي أن التربية البدائية تتميز بالقابلية والطوعية العامة، بلا إيجابية أو تفاعل مع البيئة المحيطة.

وخلاصة ما سبق أن دراسة التربية في المجتمعات البدائية تكون لدينا فكرة عن نوع الحياة في هذه المجتمعات واعتبارها نقطة البداية في تطور البشرية عبر تاريخها الطويل المعقد، فمع ظهور الحضارات المعروفة وتطور أساليب الحياة تغيرت النظم التربوية من مجرد عملية عارضة إلي عملية منظمة مقصودة، ومن مجتمع ثابت ساكن بطئ التغيير في أفضل حالاته إلي مجتمع متغير متطور بل وسريع التغيير والتطوير، ثم ظهور الرموز وبدء عملية الرصد والتسجيل واختراع الكتابة والطباعة ... إلخ، وهكذا فإن المجتمع البشري المعاصر لم يبدأ من الصغر،

كما فعل الإنسان البدائي وإنما بدأ بما انتهى عنده الأسلاف وخبرات اليوم هي استكمال لخبرات الماضي وبناء لخبرات المستقبل وهكذا...

ومن الواضح كما سبق وأن ذكرنا أن المجتمعات البدائية لم تعرف المؤسسات التربوية الرسمية كالمدارس والجامعات ووسائل الإعلام والمؤسسات الدينية والنوادي، ومعني هذا أن التعليم أو العملية التعليمية كانت مسئولية أساسية من مسئوليات الأسرة أو العشيرة أو القبيلة أو الكبار الذين تعهدوا الأطفال بالتدريب علي اكتساب عادات القبيلة والقيم المقبولة لديها، وفي بعض القبائل ظهر بعض الأفراد الذين كان لهم دور كبير في تنظيم حياة القبيلة وصياغة أهدافها ومثلها، وهؤلاء كانوا غالبا من المشتغلين بالطب أو الكهنة أو الرواة أو كبار السن، وقد لجأ هؤلاء إلي تنظيم ما يشبه تجمعات الطلاب في مجموعة لها معلمها في مكان معين مفتوح، وهناك من الدلائل ما يثبت أن إعدادا خاصا كان ينظم لمن يعتزمون الانخراط في سلك المهنة، ولكن حتى مع وجود هذه البدائل فإن التربية في المجتمعات البدائية لم تعرف المدرسة أو الكتاب المدرسي أو المعلم كمدخلات متخصصة في العملية التعليمية، ومع غياب الدلائل القاطعة علي نظم الحياة في مثل هذه المجتمعات فإن القطع برأي في هذا الموضوع لا يخرج عن مجرد التخمين أو من باب الاحتمال الذي لا يرفي إلي مرحلة اليقين بحال من الأحوال.

## المراجع

- 1- أحمد علي الحاج محمد: أصول التربية، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2013.
- 2- زكي محمد إسماعيل: انثروبولوجيا التربية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980.
- 3- علي عبد الواحد وافي: الأسرة والمجتمع، ط5، القاهرة، نهضة مصر، 1963.
- 4- مصطفى عبد الرحمن درويش: في تاريخ التربية، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1975.



## الفصل الثالث

### الفكر التربوي في مصر القديمة

## تمهيد:

كانت الحضارة الفرعونية من الحضارات المزدهرة منذ أقدم العصور، ساعدها في ذلك البيئة الطبيعية الملائمة للزراعة وللاستقرار السكاني لاعتدال المناخ، كما كان لموقعها الجغرافي المتميز أكبر الأثر في ازدهار نشاط المجتمع المصري القديم، نظرا لما حققه من سهولة الاتصال والتواصل والتعرف والاحتكاك بالحضارات الأخرى، وغير ذلك من العوامل التي صنعت مناخا وبيئة مناسبة لظهور حضارة راقية، تتمتع بأنظمة حكم بلغت شأنا عظيما في التنظيم والثروة والمجد، وصنعت تراثا عظيما يمثل إنجازا وإعجازا للعالم كله، كما يمثل انعكاسا طبيعيا لمعتقداتهم وممارساتهم الحياتية، وإنتاجهم العقلي واليدوي والمهاري من خلال تربية متميزة نجحت في تجسيد كل ذلك علي أرض الواقع.

ولقد تميزت التربية الفرعونية بهيمنة الجانب الديني علي جوانب الحياة في المجتمع الفرعوني سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية، ذلك لأن المصريين القدماء قدسو في بداية تاريخهم الحيوانات والطيور والأشجار، فأمنوا بأن الحيوانات التي عبدوها تعلم الغيب، كما آمن المصريون القدماء بالبعث بعد الموت، وبخلود الروح، والثواب والعقاب في الدار الآخرة، لذلك صورت لهم عقيدتهم الدينية أن سعادة المرء في آخرته، وعليه أن يؤدي الشعائر الدينية ويقدم القرابين لإحياء أسماء موتاهم، وتخليد ذكراهم، لأن الروح ستعود مرة أخرى لتسكن الجسد، ولهذا قاموا بنشيد المعابد، وتقننوا في بنائها، وأقاموا الأهرامات لحفظ الجثث المحنطة لحين عودة الروح إليها مرة ثانية، ووضعوا مع الموتى الأدوات والأشياء التي سوف يستخدمونها بعد عودة الروح إليهم.

## المحور الأول: الأسرة والتربية في عصور الفراعنة:

في عصر مصر الفرعونية كانت السنوات الأولى من حياة الطفل في الأسرة سنوات مثمرة، فقد حظي الطفل بالرعاية والتربية الأسرية السليمة في مناخ تسوده المودة والسلام وتتمثل فيه الفضائل الإنسانية، وذلك بسبب الاستقرار الأسري الذي بنيت عليه المدينة المصرية، لقد كان للأسرة الفرعونية نشاط ترفيهي داخل المنزل وخارجه فكان المنزل به ألعاب للتسلية، وكانت الأسرة كثيرا ما تخرج للنزهة في قوارب صغيرة علي صفحة النهر للتنزه والاستمتاع بالمناظر الطبيعية والهواء النقي وصيد الأسماك، وكان للأطفال في الأسرة مكانة كبيرة فهم مصدر فخر الوالدين تبذل في تربيتهم الجهود لكي تتم عملية نموهم وتنميتهم بأفضل صورة ممكنة، وكان تبكير المصريين القدامي في الزواج يهدف إلي ضمان تربية أبنائهم قبل أن يتقدم العمر بالوالدين.

وكانت كثرة إنجاب الأطفال مرغوبة في مصر لأن الأبناء كانوا يساعدون الآباء في الزراعة عندما تشتد سواعدهم، وقد كانت تربية الطفل في السنوات الأولى لحياته من مهام الوالدين، فكانت الأم هي المسؤولة عن تربية طفلها فتطعمه وتنظفه وتحافظ علي سلامة صحته وتلقنه الألفاظ الأولى من اللغة، وكان دور الأب في تربية طفله يظهر بوضوح أكثر عندما يبلغ الطفل الرابعة عشر من عمره إذ يلقنه أبوه (في حالة الطفل الذكر) للمبادئ السامية والتقاليد المتعارف عليها وآداب السلوك وحسن التعامل مع الناس وكان إلي جانب ذلك إذا كان الأب من أصحاب الحرف أو المهن، فإنه يبدأ في تعليم طفله حرفته حتى يتمكن فيما بعد من كسب رزقه، وإلا فإن الطفل يرسل إلي المدرسة إذا كان الأب مقتدرا، وكان توريث المهن والوظائف والحرف من الأمور المستحبة في مصر الفرعونية إذ كان الآباء حريصين علي ترك وظائفهم ومههم وحرفهم لأبنائهم، وكانت تنتقل من الأب للحفيد عبر السنين والأجيال عن طريق الممارسة والتدريب العملي الذي يبدأ منذ الطفولة.

وكان في الأسرة اهتمام الآباء والأمهات بتربية أبنائهم خلقيا منذ طفولتهم، فقد عثر في آثار الفراعنة علي كثير من الكتابات الموضحة لأسلوب النصائح والوصايا التي وجهها الآباء للأبناء منذ طفولتهم، لقد كانت هذه النصائح تحض علي التمسك بالفضائل الخلقية، ومن أمثلة هذه النصائح وجوب البر بالوالدين وحسن معاملة الزوجة (عندما يكبر الأبناء ويتزوجون) والتسامح والرحمة بالضعفاء والاستقامة والعدل والعطف علي الخدم وتقدير الرؤساء وحفظ السر والأمانة والصبر وحسن اختيار الأصدقاء.

كذلك شملت النصائح التي وجهها الكبار للصغار الالتزام بالتريث والتروي وضبط العواطف وعدم الإسراف في الحديث، فقد أحب المصريون الصمت واعتبروه من آيات الترفع وليس من مظاهر الخنوع، فالصامت عندهم هو العاقل وكثير الحديث هو الثرثار المحب للشجار والذي كثيرا ما يتصف بالغرور، وتعكس بعض النصائح التي يوجهها الأب لأبنيه دور الأم وفضلها علي الأبناء فيقول الأب لأبنيه هي التي أرضعتك ثلاث سنوات، لم تتبرم فيها من غسلك وتنظيف فضلاتك وهي التي كانت توصلك للمدرسة عندما بلغت سن تمييز الحروف، ثم تنتظرك في البيت وقد أعدت لك الخبز والجعة، وساهمت الأسرة المصرية بنصيب كبير في شؤون التربية والتعليم، حيث كانت الطفولة تمتد إلي حوالي سن الرابعة يلهو الطفل خلالها في البيت بكرات من القماش أو الجلد أو يلهو بالدمي ولعب أخري مصنوعة من الخشب والكتان لها أطراف علي هيئة حيوانات، أو علي صور أخري، وهناك لعب للفتيات تمثل الأمومة في مختلف مظاهرها من رضاعة وعناية بالأطفال، وغير ذلك.

وبذلك يمكن القول إن تربية الطفل المصري بدأت في المنزل، وقام الآباء والأمهات بممارسة واجباتهم الأسرية، فضلا عن اكساب الأبناء المبادئ والحكم والضوابط الهامة المرتبطة بالأمور الدينية والخلقية اللازمة للأبناء في جميع مراحل نموهم.

كان التعليم في مصر القديمة مهنيا، يتخذ شكل التدريب لاتقان حرفة أو صناعة أو تجارة، وغالبا ما كان يتلمذ المتعلم علي يد معلم يتميز بالمهارة (الصبي والمعلم أو الأسطي والصبي)، وقد أفاد ذلك النظام مصر القديمة في تحقيق انجازاتها المادية الفذة، وهو نظام تنفرد به مصر، وتظهر النصوص الفرعونية أن نظام التثني المهني كان غالبا أسريا بحيث يرث الولد عمل أبيه من بعده، وفي ذلك حفظ لأسرار الحرف وحفظ مكاسب الأسرة، وهذا النظام يحقق ولا شك استمرارية الحرف والصناعات، لكنه قد لا ينطوي علي تنمية بعض المهارات الفكرية أو الإبداعية، وهي أساس النهوض بالحرف وتطويرها، والنوع الوحيد الذي كان التدريب فيه يصاحبه شيء من التثقيف والتعليم بأسلوب مدرسي هو مدارس الكتبة (الكتاتيب).

وكانت الكتابة مهنة مهمة لا تقتصر علي النسخ والتسجيل ولكنها كانت اشبه ما تكون بأعمال السكرتارية في العصر الحديث، فكان كبار المواطنين أنفسهم يفخرون بلقب الكاتب ويتمسكون به ضمن مجموعة ألقابهم التي يتباهون بها، فالكتابة في ذلك الزمان كانت مهنة ذات مكانة عالية، وكان لوظيفة الكاتب شأن في اتساع مدي ما يقوم به الكاتب فما يقوم به الكاهن الكاتب يختلف عن ما يقوم به الكتبة الإداريون أو أمناء سر الملفات، وكان كبار الموظفين يعينون الكتاب لتجهيز وثائق العمل، والسكرتيريين لقراءة الرسائل وحفظها.

### المحور الثاني: مؤسسات التربية والتعليم:

وجدير بالذكر أنه لا يمكن القول إن الدولة المصرية القديمة عرفت النظام التعليمي بالمفهوم والمضمون الذي نعيشه اليوم، ولكن يمكن القول بوجود مراحل تعليمية متنوعة، كما تعددت المؤسسات التربوية التي قامت بمهمة التربية والتعليم بألياته المتعددة، وفيما يلي تناول للمؤسسات التربوية وما تقتضيه من مراحل تعليمية:

#### أولاً: المدارس العامة:

#### أ) مرحلة تعليمية أولية:

كانت مراحل التعليم تبدأ عادة بدراسة أولية يتلقاها الطفل علي يد معلم محترف متواضع في مستواه العلمي، يتكسب بالتعليم بين أهل المكان الذي يعيش فيه أو أهل القرية، وكان التعليم يتم في مكان يخص المعلم أو في بيت التلميذ، وقد يجمع هذا المعلم بين التعليم وأي مهنة أخرى، كأن يعمل كاهنا في معبد صغير ثم يستثمر أوقات فراغه في تعليم أبناء جيرانه في مكان ملحق بنفس معبده نظير أجر زهيد،

وكثيرا ما ساهم المصري القديم في التعليم بحكم عمله، وذلك إذا كان يعمل رساما أو خطاطا للنصوص الدينية علي جدران المعابد والمقابر، ويستعين في عمله بعدة صبيان يعلمهم أسلوب الخط أو الرسم ويساعدهم علي حفظ الدعوات وبعض الحكم المأثورة التي من المعتاد تكرارها في نصوص المعابد والمقابر وغيرها، فإذا ذاع أمره قام بالتعليم كذلك في الحي الذي يعيش فيه، ويعتقد أن بداية سن التعليم في المرحلة التعليمية الأولى يمكن تقديره بسن الرابعة أو الخامسة علي أساس ما كانت تأخذ به الأوساط الشعبية من بدء التعليم في سن مبكرة، ويستمر الطفل في هذه المرحلة حتى يفك الخط ويحسن العد ويتلو بعض الحكم المأثورة عن ظهر قلب خلال أربع سنوات أو نحوها، وقد يكتفي أهل الطفل بهذه الدراسة الأولية ليصبح أحد الكتبة العاديين الذي كانوا يعملون في الأسواق وفي دوائر الأثرياء.

**ثانيا: دار التعليم:**

**(ب) مرحلة تعليمية متقدمة:**

وكان يلتحق بها أصحاب الحظ السعيد من التلاميذ وهي مرحلة متقدمة في مدارس اطلق عليها اسم (عت سبا) أي قاعات الدرس أو دار التعليم، وهي مدارس نشأ بعضها داخل المعابد والبعض الآخر علي غير صلة بها، وإن غلبت الصيغة المدنية علي الدراسة بها في كل حالة، ويبدو أن الحكومة كانت تسهم في نفقات هذه المدارس، غير أن الدراسة بها ظلت تستدعي نفقات معينة بحيث لم يقدم علي الدراسة بها سوي الأثرياء، والدراسة بها استمرار للتعليم الكتابي الذي تلقاه الطفل في المرحلة الأولى.

**ثالثا: الإدارات الحكومية والمعابد:**

**(ج) مرحلة تعليم البالغين:**

المتعلمون في هذه المرحلة من البالغين وكانوا يتلقون تعليمهم في الإدارات المتصلة بالمكاتب الحكومية والمعابد، فطالب الإدارة الحكومية كان له نصيب من التعليم في المرحلة التعليمية الأولية، ولم يتفرغ طلاب الإدارات الحكومية للتعليم، وإنما جمعوا بينه وبين العمل في الوظائف الصغيرة، فكانوا يتلقون تعليمهم علي أيدي رؤسائهم ويعملون تحت أيديهم باعتبارهم مساعدين لهم، وكان هذا النوع من التعليم مناسباً لمن لا طاقة لهم بنفقات الدراسة في المرحلة التعليمية المتقدمة، ولما كانت الإدارات ذات فروع في الأقاليم فقد ساعد تعددها علي تعدد فرص الراغبين في التعليم، فضلا عن تعلم الكتابة، تضمن التعليم تدوين وتبويب المخطوطات من حيث رصد الوارد والمنصرف، وحاصلات الأرض والمناجم، وبعض موضوعات الأدب المصري القديم والمراسلات بأنواعها، كذلك كان هناك تعليم مماثل في إدارات الجيش والاصطبلات الملكية، وقد جمع التعليم في هذه الإدارات بين الكتابة والإعداد

العسكري، كما كان هناك تعليم منفصل بالإدارات الخاصة بالمعابد، ولم تخرج موضوعات الدراسة بها عن ما اعتاد المعلمون المدنيون تدريسه، فالتعليم كان مدنيا وأقرب ما يكون إلي تعليم الكاتب منه إلي تعليم الكاهن، أي أن التعليم كان يهدف إلي إعداد كاتب المعبد.

#### رابعاً: قصور الفراعنة:

أما عن الأطفال الملكييون فكان يقوم علي تربيتهم مربون خصوصيون، وكانت العادة أن يسمح الملك لأبناء الأمراء والأقارب الملكييين وكبار رجال البلاط والجيش والكهنة بأن يربوا في القصر مع أبنائه، وكان الهدف من هذا هو بث روح الولاء والانتماء للفرعون الحاكم بينهم وتعويدهم آداب اللياقة والبروتوكول، وتأهيلهم لما يناسبهم من وظائف الدولة، فضلا عن تزويد البلاط بالاتباع الأكفاء المخلصين، وتدل الوثائق علي استمرار كثير من الأطفال الذين تربوا في القصر في خدمة القصر نفسه.

كما أهتمت الفراعنة في عصور التوسع الخارجي بتربية أبناء أمراء الدول الأخرى، ولا شك أن هؤلاء كانوا يعاملون معاملة خاصة وأن برنامج تربيتهم كان يوضع بحيث يكفل تشبعهم بالتقاليد المصرية وآداب القصر ونظم الحكم والإدارة، وبما يحقق تقديرهم الخاص لمميزات الثقافة المصرية والولاء للفراعنة، وهناك فريق آخر اهتمت قصور الفراعنة بتربيته، وكان أفرادهم يتم اختيارهم غالبا من بين الأسري والرقيق الذين كانوا يوزعون علي دور الحريم الملكية المتعددة ويتم إعدادهم لخدمة البلاط.

#### خامساً: دور الحياة:

وتعهدت الدراسة العليا مؤسسة تعليمية خاصة تسمى (برعنخ) أي دار الحياة وهي تسمية يقصد بها أن التعليم فيها كان بمثابة سبيل إلي الحياة الكريمة في الدنيا والسعادة في الآخرة، وقد نظر البعض إلي هذه الدور علي أنها نوع من الأكاديميات أو المعاهد العليا أو الجامعات أو المكتبات، وهي في رأي فريق آخر لا تعدو أن تكون دورا للنسخ، ويبدو أن هذه الدور لم تكن دائما في المعابد وإنما كانت في مباني ملحقة بالمعابد، كما يبدو أن الدولة اسهمت في نفقاتها، كما تعددت مجالات الدراسة فيها فشملت الأدب والفلك والتنجيم والفن والتصوير والنحت والسحر والدين، وكان خريجها يشغلون مناصب مرموقة فهو (كاتب دار الحياة) ما من أمر ويسأل عنه إلا ويجد له جوابا مناسباً.

مما سبق نستنتج أن مؤسسات التربية والتعليم تضمنت ما يلي:

- المدرسة العامة وتلاميذها من سن 5 : (16) أو (17) سنة حيث يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة وبعض المهن، وهي دراسة عامة كما تضمنت الدراسة تدريباً عملياً بعد سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة للراغبين من التلاميذ.

- وجدت مدارس خاصة بالأسرة المالكة والبلاط الفرعوني، يتعلم فيها الأمراء وأبناء الطبقة الحاكمة، الواجبات الملكية وكيفية مزاوله حياتهم، فضلاً عن بعض العلوم والفنون التي يجب عليهم الإلمام بها كمتطلبات طبقية.

- كليات المعبد لدراسة اللاهوت والمسائل الدينية وتقبل طلابها من سن السابعة عشرة وتتوقف مدة الدراسة علي الوظيفة الدينية أو الكهنوتية التي يتم إعداد الطالب لها.

- الدراسة العسكرية ولها مدارس خاصة، تعد لهذا النوع من الدراسة يتعلم فيها الأمراء والنبلاء العلوم العسكرية وفنونها، فضلاً عن علوم أخرى منها الكتابة.

- التلمذة الصناعية حيث يتلمذ المتعلم علي أيدي الصانع المهرة لحرفة من الحرف كتدريب حرفي أو مهني لهم.

- التعليم العالي وكان يتم في المعابد لارتباط العلوم في مصر القديمة بالعقيدة، ارتباطاً وثيقاً، فالمعروف مثلاً أن الطب كان يدرس في المعابد الكبيرة، كما كانت تدرس بها الرياضيات والفلك والنحت والموسيقى والجغرافيا وغيرها.

### المحور الثالث: محتوى التربية وآلياتها:

#### 1- أهداف التربية:

يمكن القول إن اهتمام الفراعنة بتربية وتعليم أبنائهم في المجتمع المصري القديم

يعود إلي ثلاثة أهداف هي:

أولاً: العمل في الوظائف الحكومية:

فالذين استهدفوا من التعليم العمل في خدمة حكومة الفرعون كان منطلقهم عدة

عوامل من أهمها:

أ - أن الدولة كانت لها القدرة علي استيعاب كل المتعلمين في مؤسساتها، وقد ساعد علي ذلك رغبة الدولة واهتمامها بتسجيل كل كبيرة وصغيرة من شئون البلاد، وقد زادت حاجتها إلي خريجي التعليم والقادرين علي الكتابة واستيعابها لهم في عصور التوسع الخارجي، وكان ذلك نتيجة لزيادة النشاط في إعداد الجيوش وما يتطلبه ذلك الإعداد من تسجيل وقيد ومراسلات وإصدار تعليمات وأوامر وصرف مؤن، فضلاً عن الاهتمام بتنظيم شئون الحكم والإدارة في البلاد التي أصبحت تابعة لهم والتراسل معها.

ب - الرغبة في تحقيق مكانة اجتماعية متميزة، فقد كانت الوظائف الكتابية هي أفضل وسيلة يضمن بها الشاب المصري القديم تحقيق مستقبل مشرق وباهر، لأنه يضمن له العمل بالهيكل الإداري البيروقراطي والترقي في كوادره، وكان هذا يمثل مطمحاً

كثير من الشباب يحقق من خلالها كثير من المزايا التي لم يكن غيرهم من الشباب العادي يتمتع بها، فالكتابة في عهد الفراعنة كانت مهنة تتمتع بالاحترام الشديد، ويعكس ذلك أحد النصوص القديمة حيث جاء فيه: (إذهب للمدرسة، استمع لمعلمك، إعمل بجد، كن كاتباً، لأن الكتابة لهم مكانة عظيمة وحياتهم أسعد من معظم المصريين)، فكان الكاتب ينتمي إلي الصفوة، ومنها يتم اختيار رجال المستقبل، وخارج طبقة الكتاب يقع باقي المجتمع بما فيه من متاعب وتشتت، ومن منطلق المكانة الاجتماعية المتميزة للكاتب، كان تقدير المصريين القداماء للتعليم يسبب التفوق الذي يحققه المتعلمون، فكان التعليم بذلك هو الحد الفاصل بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة، فالانتظام في التعليم يؤدي بالفرد إلي مهنة الكتابة، ومن يصبح كاتباً فقد وضع بذلك قدميه علي أول سلم التوظيف وتفتحت أمامه مناصب الدولة.

ج - التخلص من الخدمة الإجبارية، ومن المحتمل أن الدولة كانت تعفي الموظفين المتعلمين من السخرة والضرائب، ولكن المؤكد أن الكاتب كان يعفي من الضرائب الزراعية فقط، كما أن عمله ليس فيه ارهاق جسدي، ثم يصبح من ذوي النفوذ.

### ثانياً: التعليم لخدمة متطلبات الحياة الدينية:

التعليم لخدمة متطلبات الحياة الدينية أو لاكتساب نصيب من العلم الديني الشخصي، وقد قدس المصريون القداماء الدين والحياة الآخرة تقديساً عظيماً أكثر من أي شعب آخر، وينعكس أثر هذا التقديس والاهتمام في إقبال المصريين علي التعليم لخدمة متطلبات الحياة الدينية من الحقائق التالية:

أ - كان الاهتمام بالآلهة والطقوس الدينية سبباً في تكوين طبقة من كهنة المعابد كان عليها أن تتعلم القيام بأعباء مهامها وأن توجه أبناءها إلي التعليم حتى يخلفوها في وظائفها.

ب - ساعد اعتقاد المصريين فيما يمكن أن تسهم به النصوص الدينية في تحقيق سعادتهم في الآخرة علي وجود طائفة من المتعلمين متخصصة في كتابة ونقش النصوص علي جدران المقابر والمعابد الخاصة وعلي التوابيت، هذا فضلاً عن من كانوا يكتبون المتون علي البردي.

ج - اعتقد المصريون القداماء أن آلهتهم علي درجة كبيرة من العلم والمعرفة، مما جعل بعضهم يري أن في طلب العلم الديني نوعاً من التعبد في الدنيا والتقرب إلي الآلهة في الآخرة.

### ثالثاً: طلب العلم لذات العلم:

طلب العلم لذات العلم، وذلك مبدأ لا شك في قلة الذين أخذوا به في مصر القديمة، كما هو الحال في كل مجتمع وفي كل زمان، وفي تاريخ مصر القديمة أمثلة

عديدة لعلماء عرف عنهم طلب العلم بدافع ذاتي دون أن يضطروا إليه لتحقيق كسب مادي، وقد نصح أحد الحكماء ابنه بأن يضع قلبه وراء الكتب وأن يحبها كما يحب أمه، لأنه ما من شيء يعلو علي الكتب التي تمثل المصدر الأساسي للعلم والمعرفة حينها.

### رابعاً: طلب العلم لأجل فائدته العملية:

الحقيقة أن طلب العلم من أجل ما يترتب عليه من نفع مادي ليس عيباً في ذاته، فكثير من البحوث والدراسات المعاصرة تهدف في معظم الأحوال إلي الوصول لمشكلات تتحدى الإنسان، كما تهدف إلي تحسين وسائل الإنتاج واستثمار الموارد الطبيعية، غير أن هذا لا يمنع من وجود بعض المشتغلين بالعلم الذين كرسوا وقتهم وجهدهم للبحث عن الحقيقة بغض النظر عن فائدتها العملية.

### 2- محتوى التعليم ومناهجه:

كانت مناهج التعليم تهدف إلي تحقيق الأهداف التربوية والاجتماعية إلي حد كبير وكان من أبرز هذه المناهج ما يلي:

(أ) **القراءة والكتابة:** وتشمل تعليم اللغة الهيروغليفية وقراءة المخطوطات الدينية وكتابتها، ويبدو أن الكتابة كانت تصويرية في بادئ الأمر، ثم تطورت إلي حروف هجائية بلغت (24) أربعة وعشرين حرفاً.

وأما الكتابة فلم تكن من الأمور السهلة علي من يريد تعلمها، إذ كانت اللغة القديمة تحتوي علي ما يقرب من (500) خمسمائة رمز تمثل الحروف الهجائية بكافة صورها وهي تحتاج لوقت طويل لتعلمها أو الكتابة بها، فضلاً عما تستلزمه من جهد، ولذلك كان الكتبة المصريون يتم اعفائهم من الأعمال اليدوية بل ويحصلون علي منحة ملكية من الحكام يمكن اعتبارها كبدل لطبيعة العمل.

(ب) **الأدب:** وقد شمل كثيراً من ألوان الأدب، مثل الأدب الديني، وقد تضمن كثير من المواعظ والنصائح التي تحت علي السلوك الطيب، كما تضمن الحكم والأمثال الأخلاقية ووجدت الأساطير وكتابات عن الرحلات، فضلاً عن الأغاني والأهازيج الدينية والفلكلور الشعبي.

(ج) **العلوم المتنوعة:** وتضمنت كثير من العلوم مثل الكيمياء والتحنيط وبعض علوم الصيدلة وبعض أنواع الجراحة مثل جراحة العيون والرياضيات والهندسة التي كانت من أهم العلوم والمهن.

### 3- طرق التدريس:

(أ) **بالنسبة للقراءة والكتابة:** اعتمد تعليمها علي التقليد والتكرار بما يتلاءم مع صعوبة اللغة المصرية القديمة وبخاصة كثرة الرموز.

(ب) بالنسبة للأدب والقصص: استخدمت طريقة الحفظ والاستظهار، وبخاصة فيما يتعلق بالدين والطقوس الدينية بصفة عامة.

(ج) بالنسبة للمهن والحرف: اعتمدت علي التقليد والممارسة العملية، كذلك أتبع هذا النظام بالنسبة للكتابة ومن يحترفون الكتابة.

#### 4- المعلمون:

كان الكهنة يمثلون فئة المعلمين بصفة عامة فكانوا يتولون تدريس الدين والأدب والعلوم والرياضيات وبخاصة في المراحل التعليمية العليا، أما تعليم الكتابة والإشراف علي نسخ المواد المكتوبة فكان يقوم به موظفون من الحكومة، ويمكن القول إن الكهنة كانت لهم السيطرة علي التعليم النظامي.

#### 5- الطلاب:

(أ) بالنسبة للبنين، أعدادهم لم تكن كثيرة في مراحل التعليم، وبخاصة في الدراسات العليا، ولعل ما كان يتبع معهم من شدة وقسوة ونظام صارم، قد أشاع في نفوس الراغبين منهم الخوف والرهبة، فضلا عن صعوبة المواد الدراسية هذا من جهة، ومن جهة أخرى ربما كان لتدخل الكهنة في شؤون التعليم ورغبتهم في أن يعلموا من يريدون من الناس وفي مجتمع طبقي كان له أثر كبير في قلة أعداد التلاميذ.

(ب) بالنسبة للبنات، فبالرغم من مكانة المرأة عند الفراعنة، إلا أنه لم يكن يسمح للبنات بالالتحاق بالمدارس، ربما كان لطبيعة تلك العصور والمجتمعات وطبيعة المناهج ونوعية التعليم ومناهجه، دور في ذلك علي أن بنات الطبقات الراقية اجتماعيا، كن يدرسن معظم مناهج البنين في منازلهن وعلي أيدي معلمين خصوصيين غالبا.

#### 6- إدارة التعليم وتمويله:

إدارة التعليم كانت مركزية حيث كانت الحكومة بما لديها من سلطات رسمية ودينية، هي التي تشرف علي التعليم وتعتبره من مسؤولياتها ويتولي موظفوها إدارته والعمل به، كذلك كانت الدولة تتولي تمويل التعليم والانفاق عليه مقابل مصروفات ضئيلة يدفعها أولياء الأمور، وكانت هذه المجانية تطبق في المدارس العامة وفي كليات المعابد، كما كانت تقدم وجبات غذائية مجانية في معظم مراحل التعليم.

#### 7- الثواب والعقاب:

كان التلميذ الذي يتكاسل في دروسه يتعرض للعقاب الشديد، فيقول معلم لتلميذ كسول: (لقد بيئت من تكرار النصح ... هل أضربك مائة ضربة، ثم تذهب أدراج الرياح، أنت عندي حمار يضرب وما يلبث أن يشفي في الصباح ... سأجعل منك رجلا - أيها الولد السيء، إفهم هذا!).

وفي نصيحة معلم آخر لتلميذه يقول: (لا تكن كاسدا! لا تكن خاملا! سوف تختبر من الآن فصاعدا، لا تنهك في الملذات وإلا فشلت، اكتب بيديك، وسمع بفمك، واتبع نصيحة من يعرف أكثر منك ... تمسك بالعمل كل يوم ... لا تمض اليوم في خمول، وإلا ضربت ... التزم بقبول النصح، لا تكسل! أكتب! لا تظهر تبرمك من الكتابة).

ويعاقبه لفظيا في مكان آخر بقوله: (لا تكن غيبا، عديم الثقافة، نحن نمضي الليل في تدريبك، والنهار في تعليمك، لا تستمع لأي توجيهات، وتفعل ما بدا لك، إن القرد ليفهم الكلام، وأن الأسود يمكن ترويضها، والخيول يسهل تدريبها، أما أنت فليس لك شبيه في البلاد، أفهم هذا)، إن فشل المتعلم كان يعرضه عادة لبعض العقوبات أهمها الضرب الذي كان منتشرا بين المعلمين والذي كان يستخدم بدون قيود، وغالبا أن بعض المعلمين كبار السن كان يسرهم اللجوء إلي هذه الوسيلة، فالشائع بينهم أن (أدنا الصبي علي ظهره وهو يسمع حين يضرب) ومعني ذلك أن الصبي حين يضرب علي ظهره تتفتح أذناه فيسمع ويطيع، ومن ثم يتعلم، وقد اقترن الضرب بأشكال أخرى من العقاب منها الحجز والتقييد، ومنها التعنيف اللفظي الذي كثيرا ما يقترن بالتهديد بالضرب والعقاب، ومن أمثلة ذلك قول أحد المعلمين لتلاميذه (ولسوف أجعل قدميك تتعثران حين السير في الحواري، ولسوف تضرب بجلد فرس النهر) ويصف نفس المعلم ما عاناه من جراء عدم التزامه وشقاوته في صغره، فيقول (ولقد قضيت زمنا في الفلقة التي شددت أعضائي وبقيت علي ثلاثة أشهر وأنا محجوز في المعبد)، غير أن المعلم كان يلجأ إلي الضرب بعد ما تخفق بعض الوسائل الأخرى التي شملت تكرار النصائح والتوجيهات، كما كان منها تكليف التلميذ بالواجبات المرهقة.

## 8- أدوات التعليم:

المعجون الملون (أحمر وأسود)، دواة الماء، الفرشاة (من نبات الأسل) حامل فرشاة، وعاء حفظ الفرشاة مصنوع من البوص المفرغ وله قمة مزخرفة من الخشب مثبتة بأشرطة من التيل، صدفة سلحفاة تستخدم في خلط الماء مع الألوان، وكان من الشائع استخدام ألواح للكتابة (اردواز) للتدريب، فكانوا يكتبون فيها ما يملئ عليهم ثم يعيدون نسخه، وهذه الألواح كان يصل حجمها أحيانا إلي 38سم × 35سم، وتصنع من خشب الجميز المطلي بطبقة رقيقة من الجص وهذا النوع يسهل غسله واستخدامه أكثر من مرة، وتشبه كثيرا ألواح الاردواز والألواح الخشبية السوداء التي تستخدم حتى الآن في الكتابة الحديثة، ولكن الغالبية العظمى من الخامات المستخدمة في الكتابة كانت تتمثل في الكسر (الخاف) المتوفرة بأنواعها (حجر جيرى - فخار - خزف ...إلخ)، وحينما توفرت محاجر الحجر الجيري كان هو الأكثر استخداما، فهو الدليل العملي علي دفتر الواجبات أو المذكرات.

كما يستخدم ورق البردي في الكتابة، وهو خامة لم يكن لها مثيل في جودتها في العصر القديم، وظل يستخدم بصفة متصلة لمدة (4000) سنة تقريبا، وكان الكتبة يحبون استعمال ورق البردي علي أية صورة، أوراق أو لفائف، وبفحص البرديات يتضح أن ورق البردي كثيرا ما كان يستخدم في الكتابة أكثر من مرة، إذ تبدو فيها آثار الكتابات القديمة تحت الأحدث منها، وبدرجة كان يمكن معها تمييز بل وقراءة النصوص الأقدم أحيانا.

## المراجع

- 1- أحمد محمد أحمد: التربية الأسرية، عمان، الأردن، دار صفاء، 2013.
- 2- المر. هـ. وايلدز، كينيث. ف. لوتش: أصول التربية الحديثة، ج1، ترجمة محمد سمير حسانين، طنطا، مصر، مؤسسة بورسعيد، 1977.
- 3- ت.ج. جيميز: الحياة أيام الفراغة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000.
- 4- سعد مرسي، سعيد إسماعيل: تاريخ التربية والتعليم، القاهرة، عالم الكتب، 1974.
- 5- سيد إبراهيم الجبار: دراسات في تاريخ الفكر التربوي، الكويت، وكالة المطبوعات، 1974.
- 6- عرفات عبد العزيز سليمان: اتجاهات التربية عبر العصور، القاهرة، الأنجلو المصرية، 1977.
- 7- علي عبد الواحد وافي: الأسرة والمجتمع، ط5، القاهرة، نهضة مصر، 1963.
- 8- محمد سمير حسانين: تاريخ تربية الطفل، طنطا، مصر، دار الأمل للطباعة، 1997.
- 9- مصطفى أمين: تاريخ التربية، القاهرة، مطبعة المعارف، 1925.
- 10- مصطفى عبد الرحمن درويش: تاريخ التربية، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1975.

## الفصل الرابع التربية والتعليم في وادي الرافدين القديم

إن حضارة وادي الرافدين تمتد جذورها في المعرفة والتعليم إلى فجر التاريخ حيث بدأ التدوين لأول مرة في تاريخ البشرية في منتصف القرن الألف الرابع قبل الميلاد.

وغدت حضارة العراق القديم منذ السومريون والاكديين ومن تلاهم تنمو وتنتور بانتظام حتى شعت بنورها ونفوذها في القرون التالية وامتد هذا الإشعاع إلى خارج الرقعة الجغرافية التي وجدت فيها فشملت بقايا عديدة في جميع الجهات المحيطة بالعراق القديم والتي وقعت النهاية تحت هيمنة الثقافة التي ترعرعت في حوضي دجلة والفرات .

لقد كان ربوع الرافدين مركزا للثقافات التي انتظمت بشكل فريد ثبت خلاله دقة التنظيم الاجتماعي, حيث إنها كانت تضرب بجذورها في الأرض, وهذا هو سرها الخالد الذي يتطلبه الوجود الإنساني العراقي.

لعب العراق دورا حضاريا مرموقا , ففي بلادنا الحبيبة ظهرت لأول مرة مركز حضارية زاهية تمتد جذورها إلى عصر المعرفة والتعليم في فجر التاريخ في سومر وأكد, فقد ظلت ثقافة سومر مزدهرة باستمرار على مدى ما يقارب من (3000) سنة ولم تنحسر وتنكمش هذه الحضارة إلا في منتصف القرن السادس في عصر الاخمينيين ثم تلاشت في نهاية العصر السلجوقي .

ووضعت حضارة وادي الرافدين اسس علم الفلك , وعلم التنجيم و قياس الزوايد واستخدام الأقواس و اختراع العربات و اختراع الكتابة المسمارية , وقد وجدت وثائق كتابية مهمة عن حضارة العراق القديم تضمنت معلومات اقتصادية وأدبية وقانونية وعلمية وأساطير ملحمية وسجلات سياسية يعترف بها .

إن الإنسان في هذه المنطقة كما يقول المؤرخون سبق الناس كلهم في جميع المجالات, فهو أول من «تفاهم بالكلمة المكتوبة وتلك هي أعظم خطوة خطاها البشر في طريق الحضارة. انشأ

إنسان وادي الرافدين أول مدرسة فكان هناك أول تلميذ وأول معلم وأول كتاب مدرسي وأول قاموس وأول مكتبة , وكلها أحداث فريدة في تاريخ البشرية . إن هذه الخلفية الحضارية الأصلية كانت وما زالت وراء عبقرية هذه الأمة وهذا البلد الذي استطاع إن يسترجع أبان الثورة العربية الإسلامية عصره الذهبي وأشاعه الحضاري .

الأدب والتعليم في وادي الرافدين:-

أ. الأدب:-

وهناك الأدب العظيم مثل : الترانيم ، والمراثي والأمثال والأساطير الملحمية مثل قصة الخلق وقصة الطوفان ، وتتوج هذا كله (ملحمة كلكامش)).

وظاهرة الأدب متميزة في حضارة وادي الرافدين إذ تميز بالأسلوب وطريقة التعبير والمحتوى والخيال الخصب والصور الفنية والعرض القصصي الروائي مع انه الأقدم في تاريخ الآداب البشرية وتطور الفكر الإنساني.  
**ب- ملحمة كلكامش:.**

يصفها مؤرخو الأدب المحدثون أنها من بين شوامخ الأدب العالمي ويقول الاستاد لانز برجر Landls beggar ((ولعلني لا أبالغ إذا قلت أنه لو لم يأتنا من حضارة وادي الرافدين ، من منجزاتها وعلومها وفنونها شيء سوى هذه الملحمة لكانت جديرة بأن تتبوأ تلك الحضارة مكانة سامية بين الحضارات العالمية القديمة)).  
ويضيف أن ملحمة كلكامش أقدم نوع من آداب الملاحم البطولية، لهذا فهي أطول وأكمل ملحمة عرفتها حضارات العالم القديم، وليس مايقرن بها أو ما يضاهاها م ن آداب الحضارات القديمة قبل الإلياذة والأوديسة في الأدب اليوناني دونت الملحمة قبل (4000) عام ، وترجع حوادثها إلى أزمان ابعد. وهي ذات جاذبية إنسانية خالدة في جميع الأزمان والأمكنة، لان القضايا التي أثارها وعالجتها لاتزال تشغل بال الإنسان وتفكيره وتؤثر في حياته العاطفية والفكرية مما يجعل موافقها مثيرة تأسر القلوب مثل ملحمة الحياة والموت ، وما بعد الموت ، والخلود. ومثلت تمثيلا بارعا مؤثرا ذلك الصراع الأزلي بين الموت والفناء المقدرين وبين إرادة الإنسان، المغلوبة المقهورة في محاولتها التشبث بالوجود والبقاء والسعي وراء وسيلة للخلود. وأظهرت حتمية الموت على البشر حتى بالنسبة إلى بطل مثل كلكامش الذي كان ثلثاه من مادة الآلة وثلثه الباقي من مادة البشر الفانية. لان الآله استأثرت بالحياة وقدرت الموت من نصيب البشرية.

وعالجت الملحمة قضية أخلاقية كبرى هل يسلك سبيل اللذة أم يقبل تحدي قانون الحياة والطبيعة فيضبط زمام النفس ويقوم بالإعمال التي تخلده بعد حياته ، وهو موضوع الملحمة الأساس، والذكر للإنسان عمر ثان، فيلنقت كلكامش إلى نفسه وعائلته وترك التفكير بالموت. وكان أثر الملحمة كبيرا ليس على العراق ووسطه (بلاد سومر وأكد) بل إلى القسم الشمالي (بلاد آشور)، ووجدت نسخ منها في أدوار أزهار الحضارة البابلية، وهناك نسخ كثيرة في الأناضول، وفلسطين القديمة. إن ملحمة كلكامش كانت مدرسة ليس للعراقيين حسب ، وإنما المنطقة الشرق الأوسط المعروف أنذاك، فلمحمة كلكامش كانت مدرسة للمنطقة بأسرها علمتهم إن التشبث بالحياة أمر مستحيل فليعمل الإنسان من الخير بما يخلد ذكره. المدرسة العراقية القديمة..

دل مسح النصوص التي يمكن إرجاعها إلى ( الألف الثالث ق.م) إلى وجود مدارس رسمية في وادي الرافدين في فترة تدعو إلى الاندهاش ، وهي فترة قديمة تسبق

مباشرة ظهور الأزمنة البابلية القديمة نحو (2000 ق.م). فضلا عن ذلك فانه في عصر حمورابي ظهرت مؤسسات تسعى إلى نسخ الكتابات , وتعمل على تعليم الناشئة ، بحيث إنها كانت مزدهرة في طول البلاد وعرضها في وادي الرافدين وفي كل مراكز المدينة المهمة.

وردت لفظة المدرسة في اللغة السومرية بصيغة (أي - دويا) وقد ترجمها الأكديون ب ( بيت توبي أي (بيت الألواح ) . أما الملوك فقد كانوا يتبحون بما كانوا يتعلمونه من القراءة والكتابة، ويعتبر ذلك شيئا كبيرا. يقول أحدهم : «منذ كنت صغيرا في المدرسة تعلمت فن النسخ من خلال اطلاعي على الألواح السومرية والأكدية. لم يكن أحد من الصبيان إن يكتب على لوحة كما كنت أفعل. ففي بيت الحكمة حيث يتعلم الناس كنت أستطيع ان اطرح واجمع ، كما كنت ذكيا في العد والمحاسبة ... أنا كاتب متفتح .. أليست كذلك ؟

لقد كان من حسن الحظ إن تدل المواضع الأثرية المكتشفة حديثا على بنايات المدارس إذ وجدت فيها كلمات تشير بوضوح الجهد المضني الذي يقوم به التلميذ الصغير بالكتابة المسماة المعقدة.

وكما ذكرنا سابقا فان أول مدرسة في العالم كانت قد أسست في هذه البلاد الطيبة بلاد ما بين النهرين، لقد غدا التعليم في بلاد سومر بعد أن ازدانت المدارس زيادة ملحولة نظاميا ، وقد اكتشف في أواخر القرن العشرين عدة من الألواح المدرسية كانت مادتها تتحدث عن الإدارية و الاقتصاد، وتظهر الألواح أيضا إن الذين مارسوا فن الكتابة كانوا بالآلاف . وكان

هدف المدرسة السومرية ابتداء الاقتصار على تعلم اللغة السومرية ثم تدريب موظفين في شؤون الاقتصاد ليعملوا في دواوين الدولة وفي المعاند أيضا , كما إن ظهور النسخ المحترفين كان استجابة لحاجات المجتمع للاحتفاظ بالسجلات وترتيب نظم معقدة للسيطرة الإدارية وللكتاب ألقاب تتعلق بالجانب الذي يمارسه كل منهم وتكتب باللغتين السومرية الأندية مثل كاتب العقيد أو تقاش الأختام أوي المساح أو السجل العسكري أو المستشار أي أمين السر أي الكاتب العمومي المختص بجماعات العمال. وقدمتا الاكتشافات الأثرية بالترتيبات المتعلقة بصوف الدراسة في يائيل القديمة :

إن في المدرسة غرقا ذوات مساحات متواضعة تكاد تنبئ عن أنها كانت أماكن للتعليم المنظم وتحتل وسطها مصليات واللثة من الأجر ، يختلف عرض كل منها من حيث الإتساع ، فمنها يتسع لواحد أو الاثنين أو لأربعة من الطلاب أما المصاطب الأعلى اتساعا فتقع بمحاذاة الجدران ، وحول هذا الموضوع كانت تنتشر مجموعات

من الألواح للتمرس على الكتابة. والحقيقة إن المعلومات التي توصل إليها المؤرخون والمتقنون لم تجد تصميمًا معينًا لبنية المدرسة ، فقد وجدوا أنها تختلف كثيرًا عن بيوت السكن الاعتيادية. لقد تخرج في تلك المدارس العلماء والباحثين والمختصون في مختلف فروع المعرفة. كما عرفت علوم الجغرافية والرياضيات والحيوان والنبات واللاهوت والتعدين وعلم اللغة فضلًا عن الكتابات الأنبية التي امتازت بالابداع . وكان قسم من الخريجين يمارس التعليم ويعتمد في معاشه على مرتبه ، وهؤلاء يقضون جل وقتهم في الكتابة والبحث ، وقد كانت رواتب المدرسين تدفع من أجور الطلاب ، ومعنى ذلك أن التعليم كان مقابل أجر ، لذا يمكن القول بأنه كان مقتصرًا على أبناء الأغنياء ، وعدد قليل من الفقراء، ذلك لأن الأجور كانت باهظة أما عن نصيب المرأة في العراق القديم من التعلم فقد وجد من بين الأسماء التي سجلت في مدرسة عراقية قديمة نساء كاتبات تدين ، كما أن الاكتشافات دلت على إن كثرة من النساء في العصور البابلية كن متعلمات ولهن شأن في حياة المجتمع وإعماله.

### نظام التعليم والمناهج الدراسية:

من الحقائق البارزة التي يجدر ذكرها على نظام التعليم في المدرسة السومرية هي إن المدرسة لم تكن على شيء مما يمكن تسميته بالتعليم الحر التقني ، فقد كان (العصا غالبًا هي التي يلجأ إليها المعلم للمحافظة على النظام. ومع ذلك فقد كان المدرسون يشجعون طلابهم عن طريق المديح والثناء

لقد كان نظام التعليم ليس سهلاً ، فالطالب لكي يحقق النجاح يجب أن يواظب على دروسه في المدرسة يوميًا من الشروق حتى المغيب ، وكان النظام يجيز للطلاب التمتع بعطلة معينة في وقت من أوقات السنة الدراسية. إن سنين الدراسة كانت طويلة ، فالطالب يلازم المدرسة منذ صباه إلى أن يصبح شايًا. وكان بحاجة إلى تعب سنين مرهقة كي يحقق السيطرة على تعقيدات فن الكتابة، وكان نظام المدرسة يتطلب فترة تحضيرية يتخلله الأمتحانات و إعادة الامتحانات

وتجدر الإشارة إلى أن المدرسة العراقية القديمة عرفت مناهجها الدراسات العليا ، ولما يسم آنذاك بالتعليم النظامي وكان مكان المدرسة التي كانت ملحقة عدة بالمعبد الذي يكون في المدن الرئيسية . وقد اشتهرت كل مدينة عراقية قديمة بمنهج معين ، فقد اشتهرت (اور) بتدريس الطب وعلم الفلك والتنجيم والأب ، والفن. واشتهرت الوركاء بالطب والعقاقير والأدب ، واشتهرت (ايسن ولا رسا) بعلوم الرياضيات والفلك ، واشتهرت (مملكة اشتودا) بالتجارة والرياضيات العالية. لقد سبق العراقيين القدامى افليدس بالرياضيات والهندسة المجسمة بحوالي (1500 عام) . إن الوثائق

السومرية نبيين لنا إن المنهج المدرسي كان يشتمل على نوعين من الدراسات هما الدراسات العلمية والدراسات الأدبية. إن قوائم الكلمات التي اكتشفت حديثاً في الأرواح المدرسية تشير إلى المنهج المدرسي الذي كان يشمل : المواقع الجغرافية والجداول الرياضية و الصيغ السومرية , والتعويذات الدينية ومجموعات الأمثال والمصطلحات التقنية التي تخص مختلف المهن والحرف والخرايط وعقود العمل .

**الإدارة المدرسية:-**

كان مدير المدرسة يدعى (أي المدرسة وكان يلقب (بالأسنان احتراماً له وإذا ما ذكر فإنه ينكر بالاحترام اللائق . وقد جاء في إحدى المدائح النمنوجية (الأستاذ هي الإله الذي يبني الإنسانية ). أما المعلمين فكانوا يتمتعون بمركز اجتماعي مرموق فهم أعلى من الكهنة والضباط والولاة ويدعى المعلم (ألي) ويعني العلامة أي الأسته. ويعتقد السومريون والبابليون إن (الأليا) يعرف كل شيء طالما يعرف الكتابة بالخط المسماري لأن الخط المسماري كان مقدساً لان البشر أخذوه عن الآلهة ولكنه كان لنوع واحد من البشر هم الأساتذة .

أما التلاميذ فكانوا يسمون أنفسهم (أبناء المدارس) وكانوا أيضاً يتمتعون بمكانة محترمة في المجتمع . إن الأستاذ كان يدعو تلامذته (أبنائي) ويسميتهم أيضاً أبناء بيت الرقم , وهكذا تجمع المدرسة في وادي الرافدين عناصر مهمة وأساسية : مدير المدرسة الأستاذة , التلاميذ ولكن يبقى الأستاذ مقداً فقد انشد أحمد التلاميذ مشيداً بأستاذه :

أيها الأستاذ الله جعل في الحكمة :

أنا عينك كالدمية فتحت عيني ونقحت في الحكمة لقد ظل للأستاذ مطلق التصرف بالتلميذ , فسلطته تفوق سلطة (الأب) ورد في احد النصوص المسمارية وصف الأستاذ

"رجل يستطيع أن يفعل كل شي و انه يفعل ما يريد" أما الشخصية التي تأتي بعد الأستاذ فهي ما تسمى ب (اداديا) أي ابن الرقم وعمله التدريس وهناك شخصية أخرى تشبه وظيفة المراقب حيث يقوم بمساعدة الأستاذ ، ويجب عليه اجتياز مرحلة أعلى من الدراسة. بالنسبة للطلاب المبتدئين وواجبه أحياناً الإنابة عن الأستاذ في تعليم التلاميذ القراءة والكتابة وحفظ النظام في المدرسة , كما أنه مسؤول عن نظافة المدرسة ودوام الطلاب , وهو ينفذ كل تعليمات الأستاذ ، ويوجد ضمن الهيئة التدريسية وظيفة (كاتب) وواجبه كتابة التمارين للطلاب بالإضافة إلى أن لديه واجبا أساسيا أخر هي الاهتمام بسلوك الطلاب وسمعتهم ومراقبتهم داخل المدرسة .

**المكتبات:-**

كانت المكتبات منتشرة في كل المدن الإقليمية تقريبا، وعلى مسافة قريبة من كل مكتبة كانت توجد مدرسة للنسخ ملحقة بها . أما اكبر مجموعة من الألواح فكانت تتمثل في المكتبة الخاصة (باشور بانيبال) في نينوى ، فقد كان الملك مولعا بالآثار شأنه شأن أي عالم آثار فنظم حملة للبحث علي نطاق الإمبراطورية عن الآثار والنقوش القديمة وجمع كل المصادر الثقافية والتاريخية لاسيما في بلاد سومر واكد . وقد عثر على (25000) لوحة سليمة أو محطمة في مجموعة الإمبراطور آشور بانيبال .

ومن الألواح التي تعني بالقضايا الاقتصادية و الإدارية التي وجدت يتضح إن عدد الكتبه الذين يمارسون حرفة النسخ تجاوز الألوف في العهود السومرية.

### العلاقة بين البيت والمدرسة:

إن الوثيقة المدرسية التي نتحدث عن الحياة اليومية لطالب مدرسية هي واحدة من أعظم الوثائق الإنسانية التي اكتشفت في الشرق حتى الآن , إذ أنها تحتوي على مقالة كتبها معلم مدرسة عراقية قديمة جات بأسلوب بسيط و كلمات واضحة تؤشر إن التلميذ العراقي حينئذ لا يختلف عن أخيه التلميذ السومري. إن الوثيقة تتحدث عن تلميذ صباحا فيبحث أمه للإسراع بأعداد وجبة غذائية التي يصحبها معه إلى المدرسة ، انه يتجنب قدر الإمكان سوء السلوك في المدرسة وان المقالة تبدأ بسؤال مباشر موجه إلى التلميذ : إلى أي مكان ذهبت منذ كنت طفلا صغيرا؟ التلميذ : ذهبت إلى المدرسة ، وقال كاتب المقالة : ما الذي كنت تفعله في المدرسة؟ التلميذ يجب إجابة مطولة يقول فيها :

كنت استظهر لوشي القديم و احظر لوني الجديد ثم تسلم واجبي الشفهي. وبعد الظهر يعينون لي بواجبي الكتابي وعندما انصرف من المدرسة وأعود إلى البيت أجد والدي جالسا هناك فاقرأ أمامه ما حفظت من دروسي فيسره ذلك وأنام فأستيقظ في صبيحة اليوم الجديد وهكذا تتكرر واجبات التلميذ اليومية .إن التلميذ الذي يخبره معلمه إن كتابة لوحة ليست مرضية فانه بعد عودته إلى البيت يرجو أباه إن يدعي المعلم إلى بيتهم وتقول الوثيقة : إن الوالد يستجيب عادة إلى رجاء ابنه ويدعي المعلم إلى البيت حيث يحتفل به الجميع ويجلسونه في مقعد الشرف , ويقف الطالب على خدمته ثم يتلو على مسمع معلمه ووالده ما حفظه من واجبات شفهيية . وفي ختام الزيارة بشكر الوالد معلم ابنه ويكرمه و ويقدم له بعض الهدايا اللانقة , ويقوم المعلم بعد ذلك بدوره فيثني على تلميذه متمنيا له اتقان واجباته ويدعو له بالنجاح و المستقبل الزاهر.

## الفصل الخامس

### التربية في الهند القديمة

تعتبر الهند مثلها مثل مصر القديمة نموذجا طيبا لسيطرة الدين ورجاله على كل أنشطة المجتمع برمته. ويطلق على الهند أرض الآلهة لكثرة ألتهتها وإن كان عددها لا يفوق عدد آلهة مصر. وكان الدين ونظام الطبقات الصارم محددين لنظام التربية في الهند القديمة كما سنرى.

- \*يرجع أصل الهنود حسب بعض الآراء إلى شعوب الجنس السامي التي كانت تسكن أودية الهند الخصبة. وكونوا لأنفسهم حضارة متقدمة لهم علاقات تجارية مع بلاد ما وراء النهرين ومصر وتكريت. وقد عبد سكان وادي الهند الحيوانات والطيور والأشجار. وهي عادة ما زالت حتى الآن. ومن المحتمل أن يكون الهنود قد استعاروا أو أخذوا كثيرا من هذه الآلهة من السكان البدائيين الأولين. وكثير من الأنهار لها صفة التقديس لديهم لاعتقادهم بأنها تملك قوة غسل الذنوب.

- \*وقد تعرضت الهند لغزو الشعوب الأوروبية الوافدة من وادي الدانوب في أوروبا وفرضوا على البلاد حكمتهم ونظامهم وثقافتهم وحملوا معهم كتاب الفيديا وهو كتاب ديني من أربعة أجزاء يحوي كثير من الآلهة والأوراد والأناشيد والطقوس الدينية. وكلمة الفيديا نفسها تعني العلم بما مجهول عن طريق الدين.

- \*ترتب على الغزو العسكري والتنافي الآري أن امتزجت الهند بالثقافة الجديدة. وأصبحت تنتمي لغويا إلى مجموعات اللغات الهندية الأوروبية. ولغتها السنسكريتية هي أقدم اللغات الآرية. وأصبحت الهند من خلال انضوائها في مجموعة الشعوب الهندية الأوروبية لها سمات ثقافية مشتركة معهم احتفظوا بها جميعا من ثقافتهم القديمة. من هذه السمات العامة الارتباط الديني للأسرة أو العائلة ووأد البنات وزواج البنات مبكرا وإنتحار الأرامل وعبادة الأجداد والقوى الطبيعية. وتؤمن الديانة الهندية القديمة بخلود الروح وتناسخها وحولها في أجسام أخرى.

- \*أي أن للروح دورات حياة في الأجسام التي تحل فيها يتوقف كل منها على نوع

الحياة التي سبقت. وهي حياة تكتنفها الشرور والآثام التي تمتلئ بها حياة البشر. وقد عرف العرب الهند قبل الإسلام واتصلوا بها. وكانت لهم بها علاقة تجارية يجلبون منها العود والطيب والسيوف التي كانت لها شهرة عند العرب. فلقبوها بالهندية. وأطلقوا على السيف أسماء مختلفة كالمهند والهندي والهنداوي بل وسموا نساءهم هندا . وبعد الفتح الإسلامي للهند سنة 1194 م انقسم سكان الهند إلى مسلمين وهندوس وهم الذين لم يدخلوا في الإسلام.

## نظام الطبقات :

كان من الآثار الأخرى التي ترتبت على الغزو الآري للهند أن فرض هؤلاء الغزاة نظام الطبقات الذي يخدم أغراضهم ويجعل منهم سادة البلاد. وهو أشبه ما يكون بالنظام العنصري في مجتمعاتنا المعاصرة. وقد أقر قانون مانو Manu وهو أحد حكام الهند (عام 330 ق.م) هذا النظام الطبقي في قانونه المعروف (مانوشاستر). لأن هذا القانون الذي يضم كثيرا من التعاليم والتوجيهات ويعتبر من كتابات الهند المقدسة. ويتكون النظام الطبقي من:

- 1- البراهمة: وهم أعلى طبقة ويمثلون رجال الدين ولهم أموره وشئونه. وكانوا يتحكمون في كل أمور الحياة بإعتبارهم مصادر المعرفة.
  - 2- الشاترية: وكانت لهم شؤون الحكومة والجيش والحرب.
  - 3- الويشية: وكانت لهم شؤون التجارة والزراعة والمهن.
- وهذه الطبقات الثلاث السابقة كانت تعتبر من الدم الآري النقي ولذا كانت تحظى بالتعليم المدرسي. وفيما بعد سمح أيضا للطبقة الرابعة أن تتعلم.
- 4- الشودرية: ويعتقد بأنهم خليط. ولذا كانت لهم الأعمال الوضيعة. وهي الخدمة فكانوا يعملون كخدم وعمال وكانت عليهم خدمة الطبقات الثلاث السابقة. وكانوا يشملون معظم السكان الأصليين.

والى جانب هذه الطبقات الأربع كانت هناك طبقة من الناس تعتبر خارجة عن نظام الطبقات الأربع السابقة وهي طبقة (الباريا) أو البنامشية وهي طبقة المنبوذين كما أشرنا. وكان محكوما عليهم بأن يعيشوا في مجتمعات منبوذة منعزلة. وكانوا يتكونون من القبائل الوطنية من السكان الأصليين الذين لم يرددوا عن ديانتهم فتحولوا إلى عبيد على سبيل العقاب. كما تشتمل أيضا على أسرى الحرب. ولم يكن لهم أي عمل. ولم يكن أمامهم إلا السرقة والسلب والنهب يرتزقون منها. ونظام الطبقات هذا هو نظام أبدي يخلد الطبقة التي ينتمي إليها الإنسان بحكم مولده. ولا يجوز لرفيع أن يجالس وضيعا أو يعامل من هو أقل منه. وتذكر الكتب المقدسة للهنود أن الإله براهما قد خلق البراهمة من فمه والشاتريه من ذراعه والويشية من فخذة والشودرية من قدمه. البراهمة هم أشرف هم أشرف الناس جميعا. لأنهم انحدروا من فم براهما يليهم الشاتريون ثم الويشيون. أما الشودرية أو المنبوذين فهم خدم للطبقات السابقة. ويرتبط بنظام الطبقات في الهند بما يعرف بعقيدة الكارما ويقصد بها القانون المقدس السماري الذي ينظم تناسخ الروح في دورتها المتكررة وأن الروح عندما يفنى صاحبها تعود مرة أخرى إلى الحياة في صورة بشر أو حيوان أو حشرة، وذلك تبعا للأعمال السابقة لصاحبها. وكما أن الكارما هي التي تحدد أصناف البشر فإنها أيضا تحدد جنس الفرد ذكر أم أنثى.

## وضع المرأة :

كانت المرأة تعتبر تابعة للرجل، والرجل يعتبر سيدها، وكان الأب يحمي ابنته في الطفولة، أما في شبابها فمسؤولية حمايتها تقع على زوجها، وفي العجز تنتقل المسؤولية إلى أبنائها حيث يقوم الأبناء بحماية أمهاتهم، وكانوا ينظرون إلى المرأة على أنها رمز للذنب في حياة سابقة، أي أن الروح أذنبت فعوقبت بكونها امرأة.

ونظرا لأن الذكور هم الذين كانوا يتولون مسؤولية الأسرة فإن الإناث لم يكن يرحب بهن، وأحيانا ما كانوا يقتلونهن ويدونهن، وقد عمل على إذلال المرأة وتخلف مكانتها الاجتماعية عدم أهليتها الدينية وتحريم قراءة الفيدا عليها أو دراستها وتحريم زواج المرأة الأرملة وانتحارها وهي ما تعرف بعادة ساتي sati وتعدد الزوجات بالنسبة للطبقات العليا ونظام البردة purda وهي الستار أو الطرحة أي عزل المرأة في حجرة خاصة بها في المنزل وتغطية وجهها بحجاب أو ستارة أو طرحه عندما تكون خارج المنزل.

\* ما زال الزواج المبكر للبنات سائدا حتى الآن في الهند، وهو يعتبر من العادات القديمة التي تشير الجدل، ومع أن الزواج دون سن الثامنة عشرة محظور قانونا في الهند إلا أن الزواج المبكر يحدث في بعض الولايات بتأييد من سلطاتها، وتشن الصحف الهندية في حين لأخر حملات ضد زواج الأطفال منها حملة شنتها الصحف الهندية مؤخرا قالت فيها إن كبار المسؤولين في بعض الولايات الهندية يمنحون تأييدهم الرسمي للحفلات الجماعية لزواج الأطفال، وأن وزير في ولاية راجستان سمح بزواج ابنته وعمرها 13 عاما، وفي حفل زواج جماعي في ولاية مادهايا براديش ثم زواج عدد كبير من الفتيات دون سن العاشرة وإحداهن لم تتجاوز سن السادسة، وقد يصل عدد اللاتي يتزوجن في يوم واحد في بعض الولايات مثل ولاية راجستان إلى عشرة آلاف طفلة كما حدث في عام 1979 ويؤخذ النساء والبنات في ملابسهن الزاهية إلى حفلات الزواج في عربات تجرها العجول في طوابير طويلة، ومن الطريق أن عددا كبيرا من البنات يئمن أثناء مراسم الزواج وأنهن لا يدركن حقيقة أنهن تزوجن.

في حالة موت الرجل تظل المرأة في حالة من الحزن إلى الأبد، وأن تحرص على قص شعرها تماما، وألا تشترك في احتفالات

الأسرة، وألا تأكل إلا مرة واحدة في اليوم، وأن تصوم للأكل والشرب يومين كل شهر. وكل هذا بسبب ذنوب المرأة في حياة سابقة لها كان يعتقد أنها هي السبب في موت زوجها وكان يحرم على المرأة تمتلك أي شيء من ثروة الأسرة على الرغم من هذه الممارسات القاسية كان من بين الهنود الأسر السعيدة التي تهنأ بحياتها. فطبيعة الإنسان أقوى من أي قانون. كما أن عادة حرق المرأة أبطلت في القرن 17 عشر على كره من رجل الدين. ولكن الزواج المبكر للبنات مازل سائدا حتى الآن كما أشارنا.

## التعليم المدرسي في الهند

عرفت الهند التعليم المدرسي منذ عهد بعيد. وكان التعليم يقدم مجانا كانت خاصة غير حكومية. فقد حرمت الكتب المقدسة فرض أي نفقات أو رسوم دراسية على التعليم بإعتبار ذلك مخلفة صد سماء. ولكن كان هناك بعض معلمين المواد خاصة التي تخرج عن حيو التعليم العام يحصلون على مصروفات دراسية من تلاميذهم. ولم يكن للسلطات السياسية أي رقابة على التعليم ولم تكن هناك إدارة مركزية للتعليم في يد البراهمة وهذا لا يعني أنه لم تكن لهم سلطة فعلية في توجيه التعليم الخاص بيهم أو غيرهم من الطوائف. وقد عرفت الهند القديمة عدة أنواع من التعليم المدرسي من أهمها:

- 1- \*التعليم الديني الثقافي أو التهذيبي: كان ينظر إليه على أنه ميزة خاصة في طبقة الكهنة أو رجال الدين وهم البراهمة. وكانت لهم مدارسهم الخاصة
- 2- \*التعليم الأرستقراطي الهندي: كان يهدف إلى مواجهة الاحتياجات المهنية الخاصة بطبقة الشاترية والويشة: وهذا النوع من التعليم كان يتم في مدارس البراهمة وتحت إشرافهم.

3- \*تعليم البوذيين: هو نوع من التعليم خاص بالبوذيين بهدف إلى تنمية المثل الخلقية والدينية العلية وتربية الأفراد على التمسك والعزلة والزهد

4- \*التعليم الحرفي: هو نوع من التعليم لتدريب العمال الحرفيين واليدويين عن طريق نظام يشبه التتمذة الصناعية. وكان كثير من أنشطته يقوم من خلال وتحت إشراف الروابط والاتحادات التجارية والصناعية. فقد عرفت الهند نظام هذه الروابط Guilds على غرار ما شاهدها أوروبا في العصر الوسيط وأمتد إلى العصر الحديث. وعلى أساس هذا النظام في الهند كان الزراع والتجار والصناع ينظمون أنفسهم في الاتحادات وروابط لها قواعد وأوصاف وأعمد ومعترف بها من الكهنة والملوك. وكانت هذه الاتحادات تقوم بتدريب أربها والعاملين بها على غرار ما كانت تفعله مثل هذه الروابط في أوروبا كما اشرنا. وكان على صاحب العمل أن يعامل المتدرب عنده كأنه ابنه. وعلى المتدرب أن يحترم شخصية سيده وأن يحترم علمه وتعليمه أيضا.

### التعليم:

### اهداف

كان الهدف الرئيسي للتعليم في الهند القديمة تقصير الفرد بالنظام الاجتماعي المقدس للكتب المقدس: (الفيدا) الذي يعني المعرفة. وكان هذا الهدف الذي يتمثل في حياة المنزل والمعابد والمدارس والطبقات الاجتماعية يعتبر هدفا ثقافيا. وكان الفرد يتعلم أن أول واجب له هو نحو النظام الاجتماعي والالتزام بأساس حياة ونظام الاجتماعي. وكان الهندي ينظر إلى الأبعد من الأهداف الاجتماعية ليحقق توافقه الروحي بين المجتمع والنظام الكوني المقدس ولهذا كان هذا التعليم يهدف إلى تدريب رجال الدين والأفراد والتجار وغيرهم وإعدادهم لأغراض عملية وتزويدهم بما تتطلبه هذه الميادين المهنية من معارف ومهارات. وعلى هذا لم يكن للتعليم معنيا بالدرجة الأولى باكتساب المعرفة النفعية والمادية.

وإنما كان يسبق ذلك معرفة الكون ككل. ولهذا كان من مهام التربية والتعليم تدريب العقل كوسيلة للمعرفة دون إفسادها بالمعلومات المادية، وكانت طريقة التعليم اليوجا - أي النظام - مهمة كطريقة أكثر من كونها محتوى ومضمونا.

### المنهج المدرسي:

كان التعليم المدرسي في الهند القديمة يقوم أساسا على دراسة الكتب،. على الكتب التي تمثل سجلا للخبرات الماضية، ومن خلالها يمكن لكل جيل أن يبدأ حياته من حيث الجيل الماضي، فالإنسان يتعلم من تراثه. وكان الأريون القدماء ينظرون إلى كتب الفيذا والتعليم التي تحتويه على أنها مقدسة وأصبحت الطبقة البراهمة هي خازنة وحافظة هذا التعليم، وكان على هؤلاء البراهمة أن يحتفظوا بهذا العلم والتعليم ولا يكشفون كنوزه لأي إنسان شرير أو حقير. ومن المعروف أن الدراسات المعرفية والأدبية المكتوبة في الهند قد تطورت بالتدرج مع الزمن عبر القرون والعصور، وكانت الأبجدية وهي من أصل غير معروف بالتأكيد تستخدم قليلا لأغراض تجارية، ولذلك كان التعليم المدرسي قبل ذلك يتم مشافهة وحفظا، كما كان يفعل العرب القدماء في الشعر، وقد ارتبطت اللغة السنسكريتية بالثقافة الهندية الرسمية. ومن هنا اكتسب أهميتها على الرغم من أنها بالنسبة للجماهير من الشعب كانت تعتبر لغة ميتة منذ بدأ استخدام الكتابة. وقد ظلت السنسكريتية اللغة الوحيدة للكتب والمدارس، ومن ثم كان لا يعرفها الا المتعلم فقط، ويتحكم رجال الدين في هذه اللغة باعتبارهم مصادر للمعرفة وملمين بقواعد اللغة وأصولها. وكان لهم تأثير محافظ على الثقافة الهندية. وكان الأريون القدماء يعتبرون لغتهم من صنع الرب ومقدسة، وأصروا على نقاوة لغة أفراد العائلة، العائلة الأرية كما نجده في إنجلترا حيث تعتبر اللغة دالة اجتماعية على الطبقة التي ينتمي إليها الفرد، وللعائلة المالكة لغتها المعروفة بها، وكان التلميذ

يبدأ منذ سن الخامسة في تعلم الدين وحفظ بعض نصوص الفيدا، كما يبدأ يتعلم الكتابة على الرمال وبعد أن يتقدم في إجادة الكتابة ينتقل إلى الكتابة على أوراق النخيل ثم أوراق الشجر، وإلى جانب ذلك كان يتعلم الحساب أيضا، وعند سن الثامنة يعهد إلى أحد رجال الدين ليصبح تلميذه حتى سن العشرين يدرس على يديه الشاسترات أو الفنون الخمس وهي: النحو (علم المفردات أو الألفاظ) والفنون أو (الصناعات) والطب والمنطق والفلسفة (ديورانت: ج 3 ص 276) وكان يقضي حوالي 12 سنة دراسته. وكان يمكن للتلميذ أن يترك معلمه في سن 18 لينتقل للدراسة بإحدى الجامعات حيث يتعلم الفلسفة والقانون والعلوم والرياضيات والطب والأدب والنصوص الدينية. وكانت التربية الجسمية أو الرياضية تقدم بصورة منتظمة للأفراد والجنود. واستخدام الأسلحة من بين التدريبات التي يمارسونها.

وفي مدارس البراهمة كان الاهتمام الكبير لا سيما للطلبة البراهمة يتركز على دراسة النحو أي الألفاظ والمفردات. وكان النحو يعتبر علم العلوم والطريق المستقيم إلى السماء والنور الموجه للقساوسة والمحاربين والتجار. كما أنه يساعد على حسن تصريف أمورهم في حياتهم وهو ما يذكرنا بما كان عليه الاهتمام بدراسة النحو في أوروبا. وكان المنهج المدرسي في أول الأمر يتكون من دراسة أحد كتب الفيدا والمواد المتصلة به. وكان يعلم بواسطة قسيس تكون عائلته متخصصة فيه. ومع الزمن كانت كتب الفيدا تدرس في كل مدرسة وبالنسبة للبراهمة كان يعتبر أن هناك ست مواد ضرورية لهم لفهم كتب الفيدا واستخدامات طقوسها. وكانت هذه المواد الست تسمى بالفيدانجات vadangas أي المواد المرتبطة بها وهي: الصوتيات، النحو، الاشتقاق (أصل الكلمات)، الفلك الطقوس الدينية، الغناء والموسيقى وقد نمت الدراسة الخاصة بهم حتى أصبحت الفلسفة أهمها. فقد أدخل البراهمة الفلسفة إلى

المدارس وهكذا أصبح للفلسفة مكانة هامة في تعليم القساوسة. وهناك تطور آخر حدث للمنهج المدرسي في مدارس البراهمة. فقد كان على المنهج المدرسي بعد أن سمح البراهمة للشاترية والويشية أن يتعلم في مدارسهم. وأصبح تعليم هؤلاء تحت الرقابة المباشرة للبراهمة أن يتسع ليوجه الاحتياجات الخاصة بهذا الجمهور العريض المتنوع. فأضيفت إلى جانب المواد القديمة مواد جديدة مثل المنطق والأخلاق والفلك وأصول الحرب والرقص ودراسة العقاقير والسموم وعمل العطور. وبعض المدارس كانت تدرس التاريخ والفنون والصناعات. وكثيرا من هذه المواد كانت تدرس التاريخ والفنون والصناعات وكثير من هذه المواد كانت لمواجهة الاحتياجات التربوية لغير البراهمة.

## مدارس البراهمة:

استهدفت التربية البرهمية تنمية التحكم في العقل والإرادة والجسم وكذلك النزعات والرغبات وتنمية روح التضحية وإنكار الذات كما أشرنا. وكان للبراهمة مدارسهم وجامعتهم الخاصة بهم، وإن كان قد سمع لغيرهم من الطبقات للتعلم فيها تحت إشرافهم، وكانت هناك عدة أنواع من مدارس البراهنة أخذت أشكال متعددة عبر القرون من أهمها:

1- \*مدارس الجرو: **Guru** كلمة الجرو تعني الكاهن وسميت بهذا الاسم لأن هذه المدرسة كان ينشأها مجموعة خاصة من الكهنة. وكان يقوم بتدريسها كاهن وهو المعلم الوحيد في المدرسة. وكان عندما يتزايد عدد التلميذ في المدرسة يقوم الجرو بتكليف بعض تلميذه الكبار في مساعدته للتدريس

2- \*مدارس الباريشاد **Parichads**: وهي نوع من المدارس كان يشرف عليها جماعة من البراهن ذو مكانة دينية الضالعين في شرح الفيذا والكتب الدينية. وكان

يتحتم وجود متخصصين بين أساتذتها لشرح الفيدا والكتب الدينية وكانت تنشأ في الغابات وتتكون مبانيها من أكواخ طينية يسكنها الطلبة والأساتذة معا وتعتبر الجامعات البراهنة نمو متطور لمدارس الباريشاد

3- \*مدارس البلاط: وهي ليست مدارس بالمعنى المفهوم وكما يبدو من اسمها كانت خاصة بالملوك والأمراء الذين كانوا يحيطون أنفسهم بالجامعات من أهل العلم والأداب. وكانت المناقشات تعقد من البلاط الملكي وفيه يدور النقاش حول الدين والفلسفة والنحو والأداب

4- \*المدارس الخاصة أو النوعية: وهي نوع من المدارس اختص كل منها بتعليم فرع معين من المعرفة. فكانت هناك مدارس للنحو وأخرى للأداب أو القانون أو الفلك أو الفلسفة

5- \*مدارس الأديرة: كانت إديرة البراهمة يسمى كل منها ماثا Mathas وقد ظهرت في مطلع القرن السابع الميلادي. وإهتمت بدراسة الفدا والهندوسية القديمة كما تركزت اهتمام الأديرة على دراسة النحو والأداب والمنطق وفلسفة الفدا وكانت الدراسة والإقامة بها مجانية

6- \*مدارس التول: وهي نوع من المدارس عبارة عن حجرة واحدة ومدرس واحد. وقد انتشرت هذه المدارس في المراكز الدينية والسياسية، ولم يكن يزيد عدد الطلبة بها عن 20 طالب وكانت الدراسة فيها بالمجان وبعد الفتح الإسلامي للهند أصبحت مدارس الأديرة والتول النمط الشائع للمدارس البرهنة

## الجامعات

عرفت الهند القديمة نظام الجامعات وكان للطالب في نحو السادسة عشر أن ينتقل إلى إحدى الجامعات الكبرى التي كانت مفخرة الهند القديمة والوسيلة مثل بنارس

وتاكسيلا و فداربها و أوجانتا و يوجين . وكانت جامعة بنارس حصنا حصينا للتعالم البرهمية الأصلية في أيام بوذا الذي تنسب إليه البوذية. وكانت ثورة ضد البراهمة. كما لا تزال كذلك إلى يومنا هذا. وكانت جامعة تاكسيلا في عهد غزوة الإسكندر معروفة في آسيا كلها على أنها مقر الزعامة في البحث العلمي في الهند. وأشهر ما اشتهرت به مدرسة الطب فيها. واحتلت جامعة يوجين مكانة عالية في أسمع الناس بما فيها من علماء الفلك. كما اشتهرت جامعة أوجانتا بتعليم الفنون، وإن واجهة أحد المباني المخربة في أوجانتا لتدل بعض الدلالة على فخامة هذه الجامعات القديمة (ديورانت: ج 3 ص 372) وكان منهج الدراسة بهذه الجامعات يشبه إلى حد كبير ما يدرس في جامعات البوذيين التي كانت من أشهرها جامعة نالاندا غير أن جامعات البوذيين والتي لم تكن موجودة في جامعات البراهمة، وكان يدرس بهذه الجامعات الدين والأدب وعلم الألفاظ والمنطق والفلسفة والرياضيات والفلك

### المعلمون

في الهند القديمة كان المعلمون من طبقة اجتماعية دينية رفيعة هم البراهمة وكانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية عالية، فقد كان البراهمة هم المعلمون الذين يقدمون بتدريس الفيدا فنقوم بتدريس الدين والفلسفة أما المواد الأخرى فكان يقوم بتدريسها أناس آخرون من مرتبة أقل من البراهمة وفي الدراسات العلمية والمواد العلمانية مثل التجارة والإدارة السياسية كان يقوم بتدريسها أفراد عاديون يعرفون قوانين الفيدا تحت إشراف البراهمة أيضا. وكانت معرفة الفيدا ينقلها الحافظون لها في عقولهم وقلوبهم. وانتشار هذه المعرفة كان رهنا برغبة حاملها ووفق شروطهم.

### البوذية :

لم تمض على موت بوذا قرنان من الزمن حتى انقسم تراثه ثمانية عشر مذهباً متبايناً، فأما اتباع البوذية في جنوب الهند وجزيرة سيلان فقد استمسكوا حيناً بمذهب صاحب العقيدة في بساطته وصفائه، وقد أطلق على هذه الشعبة من مذهبه فيما بعد اسم "هنايانا" ومعناها "البلاغ الأصفر"، فالبوذية التي سادت فيما يطلق عليها اسم "ماهيانا" ومعناها "البلاغ الأكبر" الذي رسم حدوده ونشر دعوته "مجلس كانشاسا".

وحدث في القرن السابع الميلادي ان اقام المحارب المتتور "ستروتج تسان جامبو" حكومة قوية في التبت وضم إليها نيتا، وبنى مدينة "هاسا" لتكون عاصمة له، وهياً لها طريق الغنى بجعلها محطاً وسطاً في التجارة بين الصين والهند، ودعا طائفة من الرهبان البوذيين من الهند لينشروا البوذية والتعليم بين شعبه، ونشر كتاب تشريعي يضم الكتب البوذية، ويقع في ثمانمئة وثلاثين مجلداً، حفظت للعلم الحديث كثيراً من أحوال هذه الكتب التي كانت قد ضاعت أصولها الهندية منذ زمن طويل. ولا يزال "دالاي لاما" (أي الكاهن الشامل لكل شيء) الذي اختفى في دير "بوتالا" العظيم الذي يطل على مدينة "لها"، موضع عقيدة عند أهل التبت، بما تتطوي عليه نفوسهم الساذجة الطيبة بأنه تجسيد حي "لبوذا المستقبل" أو "بوذا المنتظر"، وهكذا نجد البوذية قد ظفرت لاعظم انتصاراتها خارج الأرض التي انبتتها.

## الفصل السادس التربية الصينية

## الإطار الحضاري:

تعتبر الحضارة الصينية واحدة من أقدم الحضارات، فمن ورائها تقاليد قديمة في الشعر يرجع تاريخها إلي عام 1700 ق.م، وسجل حافل بالفلسفة الواقعية المثالية، وبراعة في صناعة الخزف والنقش لا مثيل لها من نوعها، وإتقان مع يسر لجميع الفنون الصغرى لا يضارعها فيه إلا اليابانيون، وأخلاق قويمة قوية لم نر لها نظيرا عند كثير من شعوب العالم في أي وقت من الأوقات، ونظام اجتماعي ضم عدد من الخلائق أكثر مما ضمه أي نظام آخر عرف في التاريخ، ودام أحقابا لم يدمها غيره من النظم.

وكانت البيئة الطبيعية التي ظهرت فيها الحضارة الصينية بيئة قاسية: الأهوار، والأحراج، والصحاري الفاصلة، والجبال العالية، والفيضانات الغامرة، والحر اللافح، والبرد الزمهرير، والجفاف الفاصل، والسيل الجارف، ومن ثم كان الدافع إلي التحدي، فروض الإنسان هذه البيئة، وجعل منها مهدا لحضارة عريقة.

وفي إطار أعظم إقليم جغرافي في قارة آسيا، يحيط به أعظم المحيطات من الشرق والجنوب الشرقي، كما يحده أعلي الجبال وأوسع الصحاري (صحراء كوبي)، حدث ما ظن أنه العزلة والثبات والركود، من حيث عدم القدرة علي متابعة ما يجري داخل "السور" الطبيعي لعالم الصين، لكن كانت الحقيقة علي خلاف ذلك، لأن من المستحيل - داخل هذا المخزون البشري الكبير - أن يكون ثبات أو ركود أو عزلة، فقد أثبت التاريخ امتداد الفيض البشري الصيني إلي كافة الأقاليم المجاورة، غزو سلمي، منذ فجر التاريخ.

وكان أوائل السكان الذين عاشوا علي أرض الصين كما ندرك من بقاياهم، هم ذلك الجنس الذي ينتمي إليه "إنسان بكين" الذي عاش في بداية أو أواسط عصر البليستوسين (حوالي 400000 ق.م)، أي في زمن أسبق من زمن إنسان "نياندرثال"، الذي عاش في أوربا وحوض البحر المتوسط، وهناك أيضا شواهد معينة علي وجود سكان عاشوا في الصين في العصر الحجري المتأخر (حوالي 12000 ق.م)، أما بعد ذلك فهناك فجوة واسعة في التواصل، حيث لا توجد سائر المراحل التالية من عصور ما قبل التاريخ إلا في منشوريا، وفجأة بعد ذلك (حوالي 2500 ق.م) تبدأ الأرض الشاغرة في استضافة عدد كبير من السكان النشطين، وتظهر مئات بل آلاف القرى يسكنها أناس يرعون قطعان الحيوان في إطار اقتصادي زراعي وعلي دراية بالمنسوجات والنجارة وصناعة الخزف وتبدو الحاجة واضحة إلي العمل الأثري المكثف من أجل إلقاء الضوء علي هذه الفجوة الغربية بين سكان العصر الحجري ومن أعقبهم في العصر الحجري المتأخر.

وعلي الرغم من أن هناك أدلة علي وجود حضارة متقدمة في الصين في كل العصور القديمة، فإن التاريخ الفعلي المسجل يبدأ بأسرة شانج Shang في القرن الرابع عشر ق.م، وتشير الأدلة المتاحة إلي أن هذه الحضارة كانت حضارة متقدمة، فالفن الذي يعود إلي هذه الفترة هو فن مصقول ومركب، حتى وفقا للمعايير الحديثة، وقد انتهت هذه الأسرة بالغزو علي يد شعب تشو Chou الأكثر بدائية، والذي يفيد التراث أنه قد أسس تشو في عام 1122 ق.م.

وشهد القرنان السادس والخامس ق.م في بلاد الصين عصرا من الاستنارة العقلية، لكن سبق هذا العهد عهد من الحروب والفوضى فتح أمام المواهب غير ذات الأنساب الطريقة مسلكا للرقى، وحفز أهل المدن إلي أن يطلبوا لأنفسهم معلمين يتفوقون أذهانهم بالفنون العقلية، وسرعان ما كشف معلمو الشعب ما في علوم الدين من إبهام وغموض، وما في الأداة الحكومية من نقص، وعرفوا أن المقاييس الأخلاقية نسبية، وشرعوا يبحثون عن المثل العليا والكمال المطلق، وقد أعدم الكثيرون من هؤلاء الباحثين علي يد ولاة الأمور الذين وجدوا أن قتلهم أسهل من محاجتهم، وتقول إحدى الروايات أن كونفوشيوس نفسه، الذي كان وزير الجريمة في مقاطعة "لو" حكم بالإعدام علي موظف صيني متمرد بحجة أنه "كان في وسعه أن يجمع حوله طائفة كبيرة من الرجال، وأن آراءه كانت تجد بسهولة من يستجيب لها من العامة، وأن تجعل العناد صفة خلقية بالإكبار والإجلال، وأن سفسطه كان فيها من المعارضة والمعاندة ما يمكنها من الوقوف في وجه الاحكام الحقة المعترف بها من الناس"، وإن كان البعض يشكك في هذه الرواية.

وخلال العهود الطويلة - سواء أكان الحكم مركزيا أو غير مركزي، وطنيا أو غير وطني - عانت الجماهير الصينية معاناة قاسية لدرجة السقوط تحت سيطرة العصابات المسلحة التي كانت تشارك في مسيرة الحكم أحيانا، بطريق مباشر أو بالتأثير علي سياسة الحاكمين، ولأن الشعب كان يلجم إيمانه بهذا الواقع، فقد سهل عليه أن يتقبله، أو أن يجد ما يبرر قبوله، وقد استطاع هذا "الزحام" الجماهيري أن يؤلف معتقدا هو مزيج من الظواهر الطبيعية والظواهر الإنسانية، التي لا حيلة له فيها أو معها إلا الرضا بقضائها، والصبر علي نازلتها، ومحاولة تخفيف ويلاتها.

ومما له أعمق الدلالات التربوية حقا، هو تلك الروح "العائلية" التي تسود نمط العلاقات في الصين، إذ تعتمد الدولة فيها علي هذه الصورة من صور الرابطة الأخلاقية وحدها، والولاء الموضوعي للأسرة هو الذي يميز الدولة الصينية، فالصينيون ينظرون إلي أنفسهم علي أنهم ينتمون إلي أسرهم أو عائلاتهم، وعلي أنهم في الوقت نفسه أبناء للدولة، وهم في داخل العائلة ليست لهم شخصيات، لأن الوحدة الجوهرية التي يوجدون فيها هي وحدة الدم والوحدة الطبيعية، وليس لهم في الدولة

كذلك شخصيات مستقلة، لأن العلاقة الأبوية البطرياركية هي السائدة، ولأن الحكومة تقوم علي أساس ممارسة الرعاية الأبوية للإمبراطور الذي ينظم كل قطاعات الدولة. وهناك خمسة واجبات ذكرت في كتاب (تشو - كنج) بوصفها العلاقات الأساسية العظيمة التي لا تتغير، وهي:

- الواجبات المتبادلة بين الاميراطور والشعب.

- الواجبات المتبادلة بين الآباء والأبناء.

- الواجبات المتبادلة بين الأخ الأكبر والأخ الأصغر.

- الواجبات المتبادلة بين الزوج والزوجة.

- الواجبات المتبادلة بين الصديق وصديقه.

وتمثل واجبات الأسرة التزاما مطلقا وهي تتحدد وتنظم بقانون، فليس للأبن أن يبدأ بالكلام حين يدخل أبوه عليه الغرفة، وإنما ينبغي عليه أن يتنحي ويتواري بطريقة ما بجوار الباب، وليس له أن يترك الغرفة دون إذن من الأب، وعلي الابن إذا مات الأب أن يعلن الحداد لمدة ثلاث سنوات، وأن يمتنع عن الأكل وشرب الخمر، كما أن الأعمال التي كان يقوم بها لا بد أن تتعطل حتى ولو كانت أعمالا للدولة، فهو مضطر للتخلي عنها، كما أنه لا يجوز أن يعقد قران في الأسرة خلال مدة الحداد.

ومن الأهداف الرئيسية للصينيين أن يكون لهم أبناء يشرفونهم في الجنازات ويحترمون ذكراهم بعد الموت، ويزينون لهم قبورهم، وعلي الرغم من أن الرجل الصيني قد تكون له عدة زوجات فإن واحدة فقط هي التي تكون سيدة المنزل، وعلي أبناء الزوجات الأخريات احترامها احتراما مطلقا بوصفها أما للكل، وإذا ما يكن لدي الرجل الصيني أبناء من أي من زوجاته فإنه يلجأ إلي التبني وفي ذهنه عمليات التشريف التي تقام له بعد وفاته، ولكل عائلة في الصين "قاعة للأسلاف" أو الجدود يجتمع فيها أعضاء الأسرة جميعا كل عام، وتعلق في هذه القاعة صور أولئك الذين شغلوا مناصب سامية.

### الكونفوشيوسية:

تنسب إلي "كونفوشيوس" الذي ولد عام 551 ق.م في إمارة "لو Lu" الصغيرة بولاية "شانتونج Shantung"، وتوفي بها عام 479 ق.م، وهو ينحدر من أسرة نبيلة يرجع أصلها إلي الامبراطور العظيم هوانج. دي، واسم كونفوشيوس هو النطق اللاتيني لاسم الحكيم الصيني، موضوع الحديث، وهو يتكون من لفظين: كونج Kung، وهو اسم الأسرة التي ينتمي إليها، وفو تسية Fu Tze، ومعناه: الأستاذ المبجل، أو الحكيم أو الفيلسوف، فاسم كونج فو تسية أي الأستاذ كونج، حرفه، أولتته

(نسبة إلي اللاتينية) الأوربيون فصار مشهورا عندهم بـ: "كونفوشيوس Confucius"، ويعني إذن: الأستاذ كونج أو الفيلسوف كونج أو الحكيم كونج. وكانت الحقبة الزمنية التي ولد فيها كونفوشيوس تشهد اضمحلال النظام العبودي وتعاضم النظام الاقطاعي، فكانت الفوضى العارمة تضرب في كل مكان مما ترك أثارا واضحة في أعماله التي راحت تدعو إلي بذل الجهد لاستقامة الفرد والمجتمع بموجب "التطلع نحو المعرفة بصبر وثبات" و "التعهد بالتمسك بالقضايا العادلة".

وكان العالم حوله يعج بالفوضى الناتجة عن نظام قديم انهارت داعمه ونظام جديد لم يثبت بعد جدرانه، ومن ثم فكانت قناعة كونفوشيوس بأن المجتمع الإنساني عبارة عن جسد جمعي نمطي، يمكن أن يللم أطرافه بمعيار السلوك القويم سعيا إلي السلام والرفاهية لكل الناس، وكانت تلك السلوكيات تتبع من معايير قيمية يلتزم بها الفرد إلي جانب ثقافة أخلاقية تجردت بالإخلاص والولاء والتراحم والاحترام والتقدير للأكبر سنا، والإيمان والحكمة والشجاعة والأمانة والصبر، ثم صبت جميعا فيما عرف بعد ذلك بالمنهاج (الطريق) والذي احتوي صفتين أساسيتين: الإيمان، والصبر.

ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره بدأ يشتغل بالتعليم، واتخذ داره مدرسة له، وكان يتقاضى من تلاميذه ما يستطيعون أداءه من الرسوم مهما كانت قليلة، وكانت المواد التي يشملها برنامجه ثلاثا: التاريخ، والشعر، وآداب اللياقة، ومن أقواله: "إن أخلاق الرجل تكونها القصائد، وتنميتها المراسم (أي آداب الحفلات والمجاملات)، وتعطرها الموسيقى".

وكان تعليمه كتعليم سقراط شفهيًا، لا يلجأ فيه إلي الكتابة، ولهذا فإن أكثر ما نعرفه من أخباره قد وصل إلينا عن طريق أتباعه ومريديه، وذلك مصدر قد يعتوره قدر من الشك، وقد ترك إلي الفلاسفة مثلا قل أن يعبتوا به - وهو ألا يهاجموا قط غيرهم من المفكرين، وألا يضيعوا وقتهم في دحض حججهم، ولم يكن يعلم طريقة من طرائق المنطق الدقيق، ولكنه كان يشد عقول تلاميذه بأن يعرض بأخطائهم في رفق ويطلب إليهم شدة اليقظة العقلية، ومن أقواله في هذا المعنى: "إذا لم يكن من عادة الشخص أن يقول: ماذا أري في هذا؟ فإني لا أستطيع أن أفعل له شيئا"، "وإني لا أفتح باب الحق لمن لا يحرص علي معرفته، ولا أعين من لا يعني بالإفصاح عما يكنه في صدره، وإذا ما عرضت ركنا من موضوع ما علي إنسان، ولم يستطع مما عرضته عليه أن يعرف الثلاثة الأركان الباقية، فإني لا أعيد عليه درسي".

وقد تمثل أكبر جهد كونفوشيوس في نقله التراث الصيني، في لغة بسيطة سهلة، حتى يفيد منها أكبر عدد من الصينيين، وحتى يعملوا علي إعادة مجد أسلافهم، وأدت

جهوده إلى تأليف خمسة كتب، يعرض فيها تاريخ الصين القديم، وأصول ديانات الأسر الصينية وعشائرها، ودرس فنون المعرفة الستة التي كانت سائدة في عصره: الطقوس، والموسيقا، والرماية، وقيادة العربات والجياد، والقراءة، ثم الرياضة والحساب، لهذا كان تلاميذه يقبلونه بـ (معلم البشرية)، بل كانوا يعدونه أعظم معلم أنجبته العصور وكانوا ينقلون آراءه ويعلقون عليها ويشرحونها، مما ساعد علي تكوين مدرسة كبري، وهي المدرسة الكونفوشيوسية.

لقد كانت الميزة الكبرى لكونفوشيوس تكمن في نقله للحكمة من الصعيد الفلسفي إلي صعيد الحياة اليومية ليجعل منه قيمة عملية، ومن هنا أخذ عليه البعض بأنه قد اقترب من الابتزال!! وإذا كان قد قال لحفيده ومريده "تسو - سو": "الجبل الكبير ينهار، والعارضة الرئيسية تتحطم، والحكيم يذبل"، إلا أنه كان بإمكانه أن يكون راضيا عن حياته، لقد أنجز عملا مفيدا للغاية وذلك بتبديده العقلية السحرية التي كانت تغلب علي الثقافة الصينية، من أجل تقريبها إلي العقلانية.

وما من شئ في الحياة اليومية الصينية إلا وقد تأثر بطريقة أو بأخري بالمذهب الكونفوشيوسي، وما من عمل هام، وما من سلوك عائلي، حب وصدافة، وما من عمل أدبي أو فلسفي، وما من مراسم، وما من مظهر من مظاهر آداب المعاشرة، وما من عمل اجتماعي قد خلا من تأثير كونفوشيوس، لقد كتب كاتب صيني في صحيفة انجليزية عام 1909 يقول أنه خلال الألف وخمسمائة عام السابقة: "عشنا في الصين علي رأسمال جمعه أسلافنا، ولقد حفظت لنا بصيرة وحكمة فيلسوفنا العظيم كونفوشيوس ذكراه وخبرته الثمينة، وبدونه، لكان الشرق الأقصى قد غرق في أعماق البربرية".

ويقول كونفوشيوس إن ما يجعل البشر إنسانيين حقا هو ما يسميه بالـ "جين Jen"، وهذا هو السر في أن الطريق الكونفوشي هو في جوهره طريق "جين" أو طيبة القلب الإنسانية، ولقد ترجمت كلمة "جين" بطرق شتي، ومن هذه الترجمات: الفضيلة، الإنسانية، الإحسان، الرجولة الحقة، الطابع الأخلاقي، الحب، الخير الإنساني، وطيبة القلب الإنسانية، والتعبير الإنجليزي Human Heartedness. وبما أن العرف هو مقوم أساسي من مقومات الحياة الاجتماعية من حيث أنه يربط برباط وثيق بين أفراد المجتمع، استخدم كونفوشيوس كلمة "لي Li" للتعبير عن مجموعة القيم والعادات الأخلاقية والأعراف الاجتماعية المتشابكة التي تحفظ للمجتمع تماسكه وتوازنه وتظهر شخصيته الحضارية، وتوفر للفرد الطمأنينة والسعادة، وتعني كلمة "لي" قواعد السلوك وآداب اللياقة الاجتماعية المثالية، والطقوس والشعائر التي تخلو من التزمت والجمود، وتراعي الظروف والمناسبات الاجتماعية، وتتضمن التوقير والاحترام لمت تجري عليهم.

وتتمثل هذه العادات والأعراف والطقوس والشعائر في أنواع معينة من الطعام ينبغي أن يتناولها الناس في المناسبات المختلفة والمراحل المتباينة من الحياة، كما يعبر عنها أنواع الملابس التي ينبغي أن يرتديها الناس في الأيام المقدسة، وعند الانحناءات التي ينبغي أن يؤديها عندما يحيون بعضهم بعضاً، والطريقة التي يجب أن يسيروا بها في الشوارع "فالرجال علي الجانب الأيمن والنساء علي الجانب الأيسر"، كما تتمثل الـ "لي" أيضاً في شعائر الزواج والولادة والوفاة والجنائز وشتي أنواع الأضاحي والأعياد، وتنظيم العمل، وقوانين الضيافة، والقواعد التي تسيير الحياة بمقتضاها في البلاط والمستخدمين.

وولاء الأبناء لأبائهم علامة أخرى مهمة علي طريق التربية الكونفوشيوسية، وقد اكتسب أهمية كبرى في بعض المدارس الكونفوشيوسية، وهو باللغة الصينية "هسياء Hsiao" التي تعني أصلاً الولاء للأباء الموتى وللأسلاف، والواجبات التي ينبغي أن تؤدي لهم كتقديم القرابين، والطعام، أما بالنسبة لكونفوشيوس الذي كان يشدد علي تأدية الواجب للأحياء، فقد أصبح الولاء البنوي يعني خدمة "الوالدين أثناء حياتهما"، وهذه العلاقة بين الأبناء والآباء هي من أهم علاقات خمس سبق أن أشرنا إليها وهي علاقات محورية تدور حولها كذلك تعاليم حكيمنا، وهذه العلاقات هي علاقة الأمير بالرعية، وعلاقة الابن بأبيه، والأخ الأكبر بأخيه الأصغر، وعلاقة الزوج بزوجته، وعلاقة الصديق بصديقه، واحترام الابن لأبيه عند معظم الصينيين ينطوي في التطبيق العملي علي مواقف احترام الصغير للكبير، والحب والمودة المتبادلين من جانب الكبير للصغير، فكلهما جزء من السلوك اليومي بين الأحياء، ومن الالتزام الديني في مراسم العبادة بعد الموت.

أما الـ "يي Yi" فهي تلك الفضيلة الرئيسية في التربية الكونفوشيوسية والتي تترجم عادة علي أنها "الاستقامة Righteousness"، وقد قال كونفوشيوس: "ينظر الرجل الأسمى إلي الاستقامة (يي Yi) ويبرزها باعتبارها جوهر كل شيء، وهو يلتزم بها بحسب مبدأ آداب (لي Li)، ويبرزها في تواضع، ويمضي بها إلي نهايتها في إخلاص، إنه حق الرجل الأسمى".

و "يي" بهذا هي التي تدلنا علي الطريق الصحيح للتصرف في مواقف محددة، بحيث أننا نكون علي توافق مع "جين"، وبالتالي تصبح "يي" هي الاستعداد الأخلاقي للقيام بالسلوك والقدرة علي إدراك ما هو صحيح في آن معاً، وهي قدرة تعمل كنوع من الحس أو الحدس الأخلاقي، ويتحدث كونفوشيوس في بعض الأحيان عن هذه القدرة من خلال شخصية المرء أو استقامته الأخلاقية، ذلك الشخص ذا الشخصية الأخلاقية القوية الذي يري فرصة للكسب يفكر أولاً فيما إذا كان القيام

بذلك من شأنه أن يكون صوابا علي الصعيد الأخلاقي "بي"، ومثل هذا الشخص علي استعداد للتضحية بحياته من أجل شخص يتعرض للخطر.

والوسط والانسجام عند كونفوشيوس هما نقطة الذروة في الطبيعة الإنسانية، إذ أن هذه الطبيعة تتألف من قسمين: النفس أو الذات أو المركز والأحاسيس أو المشاعر والانفعالات، فعندما لا تنتبه الأحاسيس أو الانفعالات مثل الغضب أو الحزن أو الفرح تدعي الوسط أو الاعتدال، وعندما تنتبه هذه الأحاسيس أو الانفعالات دون أن تتجاوز الحد المعتدل يقال عن النفس أو الذات أنها في حالة الانسجام، وبعبارة أخرى إن الأحاسيس عندما تتجسد في الخارج، وهي تعثر علي الإيقاع الصحيح تسمي انسجاما، فإن الوسط أو الاعتدال هو الأصل، والانسجام هو القانون العام، "فحالة المركزية أو النفس أو الذات هي المنشأ الأعظم"، وحالة الانسجام هي "السبيل الحسن البعيد المدي، لكل ما هو موجود في العالم"، وحينما يلحق الوسط أو الاعتدال والانسجام غايتهما، ويتحققان، يسود الاستقرار الكامل في السماء وعلي الأرض، وتتلقى جميع الأشياء حقها كاملا، وتتقدم نحو الكمال، بما يفيد أن المجال الأخلاقي والمجال الميتافيزيقي لا ينفصلان بل النظام الخلقي والنظام الكوني يشكلان وحدة أو كيانا واحدا.

وقد لاقت آداب كونفوشيوس إقبالا تاما وحازت الإعجاب العظيم، وقد قيل مرة عن الصينيين إنهم وضعوا أرفع قوانين أخلاقية أنتجها العقل البشري من غير أن يستمد معونة الوحي الإلهي، وإن تعاليمهم البارزة ظلت أغني ما ورثه كل عصر من العصور الحاضرة المتوالية عن كل عصر من العصور الماضية المتوالية، وقد أعلن هذا خاصة بسبب ذلك المبدأ الذي وضعه كونفوشيوس علي لسان المدرس حين يسأل التلميذ قائلا: هل هناك كلمة واحدة يمكن استخدامها قاعدة عامة لكل تجارب الإنسان التي تمر به في حياته؟ فأجاب المعلم قائلا: بلي، أليس في كلمة "تبادل المعاملة" الإجابة المناسبة؟ فما لا تريده لنفسك لا تقدم عمله للآخرين، ومن الغريب في أخلاقهم أن يكون هذا بالنفي وليس بالإيجاب.

وهكذا كانت الأخلاق مطلبه وهمه الأول، وكان يري أن الفوضى التي تسود عصره فوضى خلقية، لعلها نشأت من ضعف الإيمان القديم وانتشار الشك في ما هية الصواب والخطأ، ولم يكن علاجها في رأيه هو العودة إلي العقائد القديمة، وإنما علاجها هو البحث الجدي عن معرفة أتم من المعرفة السابقة، وتجديد أخلاقي قائم علي تنظيم حياة الأسرة علي أساس قويم صالح.

ويستمر هذا الإلحاح الواضح في التربية العائلية، وتمتين الروابط الأسرية، كما يتجلي هذا في قول "يوزي"، أحد تلاميذ كونفوشيوس: "هناك صنف من الناس يمجذ أباه وأمه ويحترم أهله وأقرباءه، ثم إنه لجرئ أمام متجبر ذي سطوة، حمل ودبع بين

ذوي قرباه، وإنه لصنف نادر من البشر، وهناك من لا تبدو منهم هنة في حق رؤسائهم برغم ما جبلوا عليه من التمرد والعصيان، وهؤلاء أيضا عز وجود أمثالهم بين الخلق، لذا وجب علي الماجد الشريف أن يتحلي بهذه الصفات، فإذا تمكنت فيه صارت أصلا، فإذا صارت أصلا أنبتت الإحسان، وإن احترام الأهل وإكبار ذوي القربي لها أفضل ما نبت من فرع الإحسان".

ومن غير أن يستخدم مصطلحاتنا التي نستخدمها اليوم، يعبر الحكيم الكبير عن نفس المعني الذي نقصده عندما نفضل "التربية الوقائية" عن "التربية العلاجية"، يقول الرجل: "إن الهداية بقوة القانون، والرشاد بسن الصعوبة في متن نصوص التشريعات ... كل ذلك قد يجبر الناس علي اجتناب الرذيلة، لكنه لا يقنعهم بفداحتها، لا يبيغضها في نفوسهم تبغيضا، أما الموعظة بمكارم الأخلاق والتهذيب، بالحض علي التقوي ومحامد السلوك فإنه يوقد الخشية في القلوب ... يلهب الرعب في الضمائر، ويقود النفوس بزمام إرادتها ... طائعة مختارة إلي صادق وأزكي المثاب".

وتحدث كونفوشيوس عن تلميذه "زيشان" فقال به أربع خصال تؤهله للسؤدد والشرف: التواضع الجم في مسلكه الشخصي، التقاني والاحترام في سلوكه مع رؤسائه، الإخلاص والعطف مع المرؤوسين، العدالة والإنصاف في تصريح شئون عامة الناس.

وقال أيضا: ثلاث خصال كان يذمها الماجد الفاضل "تسوشومسنگ" أحد رجال البلاط في مملكة "الوجو"، كان معاصرا لكونفوشيوس وكذلك أزمها، واستصغر شأن من اتسمت بها أخلاقه: "قول ظاهره معسول وباطنه سم نافع، ثم وجه زائف، يقطر بشاشة، ويخفي ضغائن، وتبجيل مسرف، يوحي باحترام صادق، وتحوشه دواهي ... الفتن والكراهية ... تبا للنفاق، فما ذم تسوشيو مينغ أحدا كمن تقنع بالود، وطيب المعشر، بينما سريرته مترعة بالحقد وسوء الظن، فبئست الخصلة ومن والاها".

وبعد موت كونفوشيوس عام (479 ق.م) تفرق تلاميذه (ويروي أنهم كانوا سبعين تلميذا)، ونشأت منهم مدارس كونفوشوسية متعددة، وأهم شخصيتين بين هؤلاء التلاميذ هما "منشيوس Mencius" (390-305 ق.م)، و"هسون تسو Husn-Yzu"، ولقد ذهب واحد من الفلاسفة الصينيين المحدثين إلي تشبيه مكانة كونفوشيوس في تاريخ الصين بمكانة سقراط في تاريخ العرب، كما شبه منشيوس (المثالي في مزاجه الخاص في فلسفته) بأفلاطون، وهسون تسو، الواقعي، بأرسطو، ويشكل كونفوشيوس ومنشيوس وهسون تسو نوعا من الثالوث بوصفهم الآباء المؤسسين للكونفوشوسية.

**اللغة والكتابة:**

إذا كان الاختلاف بين لغات العالم أمر مسلم به، لكن لغة الصينيين تختلف عن غيرها أشد الاختلاف في العديد من الأوجه، ذلك أنها ليست لها حروف ولا هجاء ولا نحو، ولا تنقسم إلي أسماء وأفعال وحروف، وإن كان المرء لا بد أن يتحرك مساحة لاحتمال أن هذه اللغة في التاريخ القديم قد كان لها اشتقاق ونحو وصرف وإعراب وتثنية وجمع وأفعال ماضية وحاضرة ومستقبلية، ومع ذلك فهذا مجرد احتمال، ذلك أننا لا نجد مع الأسف الشديد أثرا لشيء من هذا فيما ترك لنا من أقدم الآثار اللغوية الصينية، فكل كلمة فيها قد تكون اسما أو فعلا أو صفة أو ظرفا بحسب سياقها وطريقة النطق بها.

والرموز الكتابية الصينية تمثل أفكارا لا أصواتا، فاللغة الصينية لغة ذهنية idiographic لا صوتية، وتبعا لهذا كثرت رموزها لتتطابق أفكارها، وليست لهذه الرموز أصوات، فمثلها كمثل الأرقام الحسابية فمعناها تميزه العين قيل أن تدركه الأذن، ومن المستحيل أن نقدر العدد الذي تتكون منه رموز هذه اللغة، ويقدره خبراء، فيما عدا المترادفات والكلمات غير المستعملة بما يقرب من 25 ألف رمز، وإذا حسبنا عدد هذه الرموز بعد أن تدخل عليها العلامات المشددة، وجدنا أنه يزيد علي 26 ألف رمز، وإذا تذكرنا أن هذه الرموز لا بد من تحفظ عن ظهر قلب كما تحفظ حروفنا الأبجدية، تصورنا مقدار المجهود الشاق الملقي علي عاتق التلميذ.

وعلي أية حال، فمعظم هذه الرموز نادرا ما يستخدم، وكتبهم التسعة المقدسة - التي يتكون منها معظم مادة التربية - لا تحتوي في الواقع علي أكثر من خمسة آلاف رمز، زد علي ذلك أن هناك ستة نماذج مختلفة للكتابة اليدوية تشبه الكتابة الرومانية والكتابة المائلة والحروف السوداء في الانجليزية، وهذه النماذج أو الطرق الستة هي طريقة التنميق، الطريقة الرسمية، الطريقة الأدبية أو النموذجية، الطريقة العادية، الطريقة الجارية، طريقة الزاوية المشابهة للطباعة - ومن الواجب معرفة عدد معين من هذه الأشكال - ولكن الأهم من هذا - فيما يختص بالتلميذ - يجب أن نتذكر أن هذه اللغة المدرسية لغة ميتة من الناحية العملية، وبذلك انقطعت صلاتها باللغة التي يستعملها في حياته اليومية.

وقبل أن يكتشف الصينيون الورق كانوا يستخدمون للكتابة شرائط طويلة مصنوعة من أعواد البامبو، ثم درع السلحفاة والعظام وألواح الخشب والأحجار وأواني النحاس ... إلخ، بينما لجأوا إلي استخدام الحرير أيضا، وقد كتبت النصوص الطويلة علي شرائط البامبو وعلي الحرير، بينما كتبت النصوص القصيرة (المعادلات السحرية المختلفة، أسماء الناس ... إلخ) علي مواد أخري، وكان البامبو يقسم إلي شرائط طويلة بحيث كان يمكن أن يكتب عليها عموديا سطرا أو سطرين أو عدة سطور، وفي رأس الشريط كان هناك ثقب بحيث كان يمكن أن تجمع عدة

شرائط معا، وهذا الشكل للكتاب كان يبدو أيضا عندما تتم الكتابة علي مواد أخري كألواح العظام والخشب، كانت ألواح الخشب أعرض من شرائط البامبو، ولذلك كان يمكن أن تكتب بها سطور عمودية أكثر، أما الحرير فقد كانت له ميزة كبيرة علي الأنواع الأخرى المذكورة لأنه كان ليينا ومناسبا للكتابة مما كان يجعله شبيها بورق البردي في مصر.

وفي القرن الخامس الميلادي سجل لنا مؤرخ البلاط "فان يه" كيف أن "تساي لون" اكتشف سنة 105م طريقة لإنتاج الورق، نظرا لأن الحرير كان غاليا وشراط البامبو ثقيلة مما كان يجعلها غير مناسبة للكتابة، وكما يضيف المؤرخ "فان يه" فإن الورق منذ ذلك الحين أصبح يستخدم في كل مكان، إلا أن المؤرخين اليوم لديهم ما يجعلهم يعتقدون أن اكتشاف الوسيلة لإنتاج الورق لا يرتبط بفرد واحد بل بسلسلة من الاكتشافات والإضافات للأفراد الذين سبقوا "تساي لون"، وعلي كل حال فإن هذا الرأي يدعمه الآن اكتشاف قطعة من الورق تعتبر أقدم قطعة ورق معروفة حتى الآن، وهي تسبق تقرير "تساي" سنة 105م.

وقد سجل لنا المؤرخ "فان يه" أن "تساي لون" قد استخدم لإنتاج الورق لحاء الشجر والحبال القديمة والخرق البالية وشبكات الصيد القديمة، وقد عمد "تساي" إلي طحن هذه المواد الأولية وإضافة الماء من حين إلي آخر حتى توافرت له عجينة، ثم فرش هذه العجينة عل شكل شريحة رقيقة فوق مصفاة، وحين جف الماء أخذ شريحة الورق ودقها لكي تجف تماما، وبهذا الأسلوب توصل "تساي لون" إلي طبق رقيق ومتين من الورق.

وكان الصينيون في عصورهم الكلاسيكية يعمدون إلي الإكثار من الكتب عن طريق النسخ، ونظرا لتعقيد الكتابة الصينية فإن النسخ كان عملا مرهقا بالنسبة للناسخ الصيني، وذلك بالمقارنة مع عمل زملائهم في حوض المتوسط، ولذلك فليس من المستغرب أن النساخ الصينيين كانوا يرتكبون أخطاء كبيرة مما كانوا يتسببون في مشاكل مشابهة لتلك التي كان يتورط بها النساخ في اليونان أو في أوروبا، ومن هنا فقد كانت طبقة رجال الدين القوية تهتم دائما بهذه المشاكل، وبالتحديد في كيفية الحفاظ علي الشكل الأصلي للنصوص الدينية المقدسة سواء كانت كونفوشيوسية أو بوذية.

### معالم فكر تربوي:

علي الرغم من أننا حرصنا، ونحن نعرض لفكر كونفوشيوس أن نركز علي كل ما له صلة بالعملية التربوية، مما يضع هذا تحت مظلة الفكر التربوي، لكننا أثرنا أن نزيد علي هذا بالجزء الحالي تأكيدا علي الأبعاد التربوية في فكر كونفوشيوس خاصة وأنه اعتبر بحق الوجه الصيني الغالب للتربية في هذه الحضارة العظيمة.

لقد كان كونفوشيوس بطبيعة الحال أبرز المرين الصينيين، إذ مارس رسالته معلما أو حكيما أكثر تبكيرا في حياته من معظم زعماء البشرية، وما أن بلغ سن الثانية والعشرين حتى ذاع صيته فعلا لحكمته ولحياته المستقيمة معا، فضلا عن ذلك كانت له موهبة عظيمة في الفصاحة، ولما شجعه نفر من عشيرته المتحمسين، قرر أن يفتح مدرسة في داره كما سبق أن أشرنا، ولم يشترط شروطا معينة في من يريد الالتحاق بها، بل إن المصروفات التي كان يطالب بها التلاميذ لم تكن موحدة، إذ أن الذي يحددها هو قدرة التلميذ علي الدفع.

كذلك وضح من أجزاء سابقة أن كونفوشيوس كان حريصا أشد ما يكون الحرص علي ألا يخلق بتلاميذه في أجواء التجريد والتنظير الموعغل في الميتافيزيقية، وإنما الالتزام بتدريس "موضوعات" ذات صلة بالحياة التي يعيشها التلاميذ، وبالحياة التي ينبغي لهم أن يعيشوها، علي ألا نفهم من ذلك وقوعا في جب الميتافيزيقا، ولكنها صورة من صور المثالية التي ينشدها معلم ومصالح اجتماعي ينشد التغيير والتطوير إلي ما هو أفضل، ومن هنا كان تركيزه علي ما يسمي بالسلوك العام، فضلا عن إيمانه بقيمة الشعر والموسيقى في العملية التعليمية.

وإذا كانت عملية التعليم في مدرسة كونفوشيوس تتفق مع مدارس الأرسطراطية التي كانت قائمة، من حيث تهيئة الدارس ليكون موظفا حكوميا، إلا أن الغاية من التدريس انصببت في الحالة الأولى علي تنشئة الدارس تنشئة أخلاقية وتنمية مداركه العقلية ليلعب دورا حيويا مؤثرا في الحكومة التي قد يشترك فيها بإخضاعها لخدمة احتياجات الشعب، في حين اتجهت غاية التثقيف في المدارس الأرسطراطية إلي تمكين موظف الدولة من مباشرة أعمال تقليدية معينة تخدم أهداف الحاكم، وبذلك يتحول الموظف في هذه الحالة إلي مجرد أداة طيعة في يد صاحب السلطان.

والمعرفة عند كونفوشيوس اكتسابية وليست إلهامية، وقد أكد ذلك في عدة مناسبات، فقد كان يقول إنه ليس شخصا "ولد عارفا للحقيقة"، وإنما مصدر معرفته هو القراءة والدراسة الكثيفة والملاحظة، لقد كان دائم الملاحظة لرفاق دربه، فيأخذ ما هو صالح عند أحدهم، ويمعن فيما هو سئ عند آخر ليصون نفسه من إتيانه، إن الإنسان يولد والمعرفة ممتنعة عليه فيما يري كونفوشيوس، فهو يولد جاهلا أية معلومات أو حقائق علمية، لأن عقله في هذه الحالة أشبه ما يكون بالصفحة البيضاء، وعليه بعد ذلك أن يجتهد في معرفة هذه الحقائق عن طريق الدراسة والبحث والتحصيل.

ولكن كونفوشيوس، يشير من ناحية أخرى في كتاب "المنتخبات" أو "المختارات" إلي وجود نوعين من الحكماء: أولئك الذين ولدوا وهم ذوو معرفة ألهمتهم بها السماء دون مجهود شخصي من جانبهم، وبغير أن يكونوا علي وعي

بمعرفتهم، وهؤلاء الحكماء الموحى إليهم هم الأفضل، أما النوع الثاني من الحكماء، فهم أولئك الذين يتعلمون ويعملون علي كسب الحكمة بدراساتهم المتواصلة الاجتهادية، وهؤلاء في نظره هم أبناء الأرض الموكل إليهم عن طريق مجهوداتهم الخاصة، حماية أنفسهم من الهوي والشر، فإذا نجحوا في هذا اقتربوا من درجة الحكماء الملهمين أبناء السماء المشتملين علي الأسرار الإلهية العظيمة.

وكان كونفوشيوس يعتقد أن البعد عن تلاميذه وعدم الاختلاط بهم ضروريان لنجاح التعليم، وكان شديد المراعاة للمراسم التي نقصد بها الآن أصول المعاملات الاجتماعية العامة، ومن هنا قيل بحق أن قواعد الآداب والمجاملة طعامه وشرابه، وكان يبذل قصاري جهده للحد من سطوة الغرائز وكبح جماحها، وذلك بالالتزام الدقيق الحازم بعقيده الصارمة، ويبدو أنه كان يزكي نفسه في بعض الأحيان، لا عن غرور وعجب بالنفس وإنما عن تقدير حقيقي وثقة بالذات، ويروي عنه أنه قال عن نفسه يوماً من الأيام مقولة فيها بعض التواضع: "قد يوجد في كفر من كل عشر أسر رجل مثلي...نبلي وإخلاصي، ولكنه لن يكون مولعا بالعلم مثلي"، وقال مرة أخرى: "قد أكون في الأدب مساويا لغيري من الناس، ولكن "خلق" الرجل الأعلى الذي لا يختلف قوله عن فعله هو ما لم أصل إليه بعد".

ومن هذا فإننا يمكن أن نشير بصفة عامة أن حكيمنا كان علي درجة عالية من التواضع، وهو في أوج عظمته، ومن هنا فقد أكد لنا تلاميذه أنه كان يخلو من أربعة عيوب قاتلة قد لا يبرأ منها كثير من الناس، أولها أنه كان يجادل وفي عقله حكم سابق مقرر، كما أن لم يتعمد التحكم في الناس لفرض عقائده عليهم، وأخيراً فإنه كان بعيداً عن العناد وكذلك عن الأنانية، ولعل ما يشير إلي تواضعه قوله عن نفسه أنه كان ناقلاً منه مبدعاً ومنشئاً، وفي هذا الصدد كان كثيراً ما يردد نصيحة غالبية لهؤلاء الذين يتطلعون إلي المناصب العالية بضرورة أن يحرص المرء أكثر علي أن تتوافر فيه تلك المهارات والمقومات والصفات التي تؤهله لشغل هذا الموقع أو ذاك، أما شغله بالفعل، فلا ينبغي أن يكون هو الهدف، وليس مهماً أن الناس لا يعرفوك، ولكن المهم أن تكون خليقاً بأن يعرفك الناس.

وقد كانت الميزة الكبرى لطرق التربية الصينية هي اعتمادها بطريق مباشر علي التقليد، وهي في مراحلها الأولى ما هي إلا تمرين للذاكرة، ولذلك أصبحت المدرسة الصينية مدرسة "عالية الصوت"، فيناول كل طفل النصوص المناسبة، ويكرر قراءتها بصوت مرتفع حتى يحفظها عن ظهر قلب، وعندما يتم النصوص، يقلب كتابه ويحاول استرجاعها، فيسلم كتابه للمدرس ويعطيه ظهره ويبداً في استرجاع ما حفظه بصوت عال وسرعة فائقة دون أن يكون علي علم ما بمعني ما يسترجع.

وكانت كتابة المقالات هي أبرز منتجات هذه التربية مما جعل منها مقياسا يكشف عن مدي كفاءة المتعلم، لكن هذه الكفاءة كانت تنبدي فقط في القدرة علي التقليد، فالكاتب الناجح في الأدب، من وجهة نظر هذه التربية هو هذا الذي يمكنه تقليد نظم الشعر ومراعاة قافيته، ويجيد السجع في النثر، فكأن الهدف الأسمى الذي كانت ترمي إليه المدرسة هو تكوين القدرة علي كتابة المقالات المتشابهة في الشكل وفي التركيب والمتقاربة في الروح والعاطفة والتي تشبه "الأمثال" و "المزامير".

**تنظيم التعليم:**

لم تؤسس الحكومة الصينية في الزمن القديم مدارس نظامية لتعليم الشعب، إذ كان من الصعب جدا إدارة مدارس تكفي لأمة بمثل ضخامة الأمة الصينية، لكن الحكومة رأت أن يكفيها أن تشجع التعليم بالأا تقبل في وظائفها العادية ولا مراكزها السامية إلا من كان متعلما، وبذا أسست الحكومة لجنة امتحان أعضاؤها هم "هان لن" أو "المجمع العلمي" في بكين، فنظم المجمع امتحانات في مواعيد محددة كل سنة أو مرة كل سنتين بحسب أهمية الامتحان، وكان باب الامتحان مفتوحا للجميع ما عدا أبناء الحلاقين ومن شاكلهم، وإن كنا لا نعلم لماذا؟.

وكان نظام هذه الامتحانات تاما بمعني الكلمة سنة (700م)، علي أن التعليم كان منتشرًا في جميع أنحاء الصين في زمن كونفوشيوس، أي في القرن السادس ق.م، والأعجب من هذا أن المدارس كانت كثيرة قبل كونفوشيوس بقرون عدة، وكان للتربية منزلة رفيعة في أعين المفكرين والحكام، ويذكر أحد المؤرخين أن الصينيين كانوا يهتمون بالتربية منذ سنة (2000 ق.م)، فكان الحكام يلاحظون المدارس والكليات بأنفسهم وتعلم في هذه المعاهد أبناء الأشراف في زمن الإقطاعيات، أما في عصر كونفوشيوس، فقد كان عصر اضمحلال ف جاء هذا المصلح ليعيد للتربية الصينية مجدها السابق، وكان غرضه هو واتباعه ألا تكون المراكز والوظائف وراثية، بل يجب أن تكون لمن يظهر تفوقا علي إخواته في امتحان مسابقة عامة، وانتشرت امتحانات المسابقة انتشارا عظيما في القرن الثامن قبل الميلاد.

وعندما قبضت أسرة "تشو" علي زمام الحكم سنة 1115 ق.م، اعتادت الحكومة أن تمتحن طالبي التوظف، وكان الصينيون في ذلك الوقت قد بلغوا درجة عظيمة في التربية، ولذا كانوا يمتحنون طالب التوظف في الفنون الجميلة وهي: الموسيقى والرماية والفروسية والكتابة والحساب، وكان علي الطالب أن يكون ملما إلاما تاما بالأداب العمومية وآداب المجتمعات، وعدوا هذا فنا جميلا سادسا، فهذه التربية السداسية تذكرنا بالمنهج الثلاثي والمنهج الرباعي في المدارس الأوربية في القرون الوسطي.

**وكانت الامتحانات تنقسم إلي أقسام ثلاثة:**

1- امتحانات الدرجة الأولى وتجري مرة كل ثلاثة أعوام، ويطلب من الطالب فيها أن ينشئ ثلاث رسائل في موضوعات مختارة من كتاب كونفوشيوس، ويوضع في حجرة خاصة مفصلا عن غيره حيث يمكث 24 ساعة وهو يجهد عقله في كتابة الموضوعات ونسبة النجاح في هذه الامتحانات ضئيلة جدا ولا تتجاوز 4%.

2- امتحانات الدرجة الثانية، وتقام بعد مضي أربعة أشهر علي امتحانات الدرجة الأولى، وتجري مرة كل ثلاثة أعوام أيضا وتدوم ثلاثة أيام وتشبه في أسلوبها ونهجها الامتحانات الأولية، إلا أنها أهم منها وأكثر صعوبة، ونسبة النجاح فيها ضئيلة أيضا لا تتجاوز 1%.

3- امتحانات الدرجة الثالثة، وتقام في العاصمة وتدوم ثلاثة عشر يوما ونسبة النجاح فيها أكبر منها من الامتحانات السابقة، ومن الأمثلة التي يسأل فيها الطلاب:

أ - أن يكون الإنسان مقتدرا ويطلب المعونة من العاجزين، أن يكون الإنسان عالما ويطلب العلم من الجهال، وأن يكون غنيا ويظهر بمظاهر الفقر.

ب - يجب أن يكون الرجل المخلص ذكيا، ويجب أن يكون الرجل الذكي أمينا.

وإذا كنا لم نشهد نظاما تعليميا حكوميا إلا أننا نلاحظ انتشار مدارس القرى، وهي معاهد خاصة ساذجة لا تزيد قليلا عن حجرة واحدة في كوخ صغير، كان يدرس فيها معلم واحد ويتناول أجرة من آباء التلاميذ، وكان أجرا ضئيلا، ولم يكن يتجه إلي الالتحاق بهذه المدارس إلا أبناء القادرين، أما الفقراء فلم تتح لهم فرصة التعليم، وغالبا ما كانت تأخذ المدرسة مكانها في معبد من المعابد إذا لم تجد كوخا مناسباً أو سقيفة أو ركناً يأوي التلاميذ، ولم تكن هناك مدارس للبنات ولا تعليم لغالبية التلاميذ بعد سن الخامسة عشر، ولم يتعد الذين جاوزوا التعليم الابتدائي "الأولي" هذا أكثر من خمسة في المائة.

علي أن الدراسة بهذه المدارس المتواضعة خضعت لنظام صارم، فكان الأطفال يأتون مع مطلع الشمس ويدرسون إلي قرب المغيب، ولهم فترات راحة يتناولون فيها طعامهم، وفي هذه المدارس كان التلاميذ يتعلمون القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وشيئا من كتابات كونفوشيوس وبعض الشعر، ووصفت اللغة التي استخدمت بالمدارس، كما سبق أن أشرنا، بأنها لغة ميتة لا تستخدم خارجها، ولهذا فإن العمل المدرسي لم يكن يعني الكثير عند التلاميذ، خاصة أن المعلم كان يلجأ إلي تحفيظهم عن ظهر قلب، وإلي استخدام العصا لتأكيد هذا الأسلوب في التعليم.

وإذا كان غرض التربية في مراحل التعليم الأولية في التربية الصينية هو أن يلم الصيني باللغة والآداب المقدسة، فمعني هذا أن البنات لم يكن لها أي تقدير ولا منزلة في تعليمهم الأدبي، أو في معاهدهم التربوية، ونقصد بالإلمام هنا معرفة حرفية مطلقة للآداب بحذافيرها ومقدرة علي إنشاء أسلوب شكلي ونمطي في كتاباتهم.

وإذا كانت مرحلة التعليم الأولي مخصصة لاستذكار أشكال الرموز المختلفة وذلك بحفظ بعض النصوص التي أجمع علي اختيارها وحفظ الكتب الدينية التسعة، فإن المرحلة الثانية كانت مخصصة للترجمة، أي حل تلك الرموز، وكما أن المرحلة الأولى كانت مخصصة بمجرد استذكار أشكال هذه النصوص والدروس الإنشائية، فالمرحلة الثانية هي مرحلة قراءة فعلية، بمعنى ترجمة تلك النصوص، أما المرحلة الثالثة فهي مخصصة لكتابة المقالات الإنشائية حتى يكتسب التلاميذ في هذا الجانب مهارة كافية تمكنهم من النجاح في الامتحانات، ويتطلب هذا التدريب علي تحرير المقالات دراسة لصور الآداب وموادها، ومن المرحلتين الأخيرتين يتألف التعليم العالي.

ولم يكن علي المدرسين من حرج ولم يحتاجوا إلي شهادة خاصة في فن التعليم، لكن كان للحكومة الحق أن تغلق أي مدرسة وجدت أنها رديئة، وكان الآباء يستعملون منتهي الحذر في اختيار المعلم الذي يسلمونه أبناءهم، وكان المدرسون في الغالب من حملة شهادة الفنون الجميلة، وأحيانا كانوا أرقى من ذلك، وكثيرا ما كان العلماء يفضلون مهنة التعليم علي وظائف الحكومة، ولذلك كان المعلم أكثر الناس احتراماً بعد الحاكم المقاطعة.

ومن هنا فإن كونفوشيوس حرص علي أن يضع للمعلم أربع قواعد هامة من المفروض أن يلتزم بها حتى يقوم بالواجب المنوط به، **هذه القواعد هي:**

1- يجب علي المعلم أن يمنع العادات القبيحة قبل أن يكتسبها الطالب وتصبح سلوكاً عادياً، ذلك أن محاولة القضاء علي عادة من العادات، بعد أن تكون قد تكونت محاولة فاشلة في أغلب الأحيان.

2- يجب أن يعطي المعلم المعلومات في السن الملائمة لها، إذ أن تعليم مادة خاصة بسن معينة بعد فوات السن المناسبة لتعليم عديم الجدوي.

3- يجب التدرج في إعطاء المعلومات، بحيث يبدأ المعلم بالسهل وينتهي بالصعب، فالمعلومات إذا لم تعط في تدرج وتسلسل فإن هذا من شأنه أن يوجد البلبلة والتشويش في عقلية الطلاب ومعلوماتهم.

4- يجب أن تعطي المعلومات للطلاب مجتمعين لا فرادي، بهدف إثارة التنافس بينهم وتشجيع المجتهدين، ثم إن تعليم طالب وحده منعزلاً عن بقية زملائه من شأنه أن يعمل علي تضيق أفق تفكيره ويجعل معلوماته ضئيلة.

وكان عدد الأطفال الذين يلتفون حول المعلم في مدرسة القرية يتراوح بين العشرين والأربعين، وكانت ساعات التعليم من شروق الشمس إلي الساعة العاشرة صباحاً، وبعدها يذهب الأطفال إلي منازلهم للغذاء، ثم من الساعة الحادية عشر إلي الخامسة مساءً، وكان للمدرس مكتب ومقعد، وكل تلميذ يجلب من منزله مسنداً

ومقعدا لنفسه، ويدخل التلميذ المدرسة في سن السابعة تقريبا، وعندما يدخل طفل المدرسة، تقيم أسرته الأفراح احتفالا بذلك، وأول عمل يعمله الطفل عند التحاقه بمدرسة، هو حرق البخور أمام مذبح كونفوشيوس، وإذا لم يوجد مذبح، فكل ورقة عليها اسم ذلك المصلح الكبير تكفي للغرض، وبعد ذلك يحيي أستاذه بكل احترام ووقار، وعند مجئ التلاميذ ينحنون أمام صورة إله العلم وهي من أقيح الصور، ثم ينحنون للمعلم وبعد ذلك يجلسون!!.

وثمة نقطة أخرى تتعلق بطبيعة التربية الصينية، جدير بنا أن نشير إليها، فبينما يخصص للتعليم معهد خاص، هو المدرسة، فإن الأسرة كانت تقوم بتمهيد الأساس له بصفة خاصة، فغرس الأخلاق لدي الصينيين هو من مهام الأسرة ومحتويات أدبهم المقدس مرتبطة ارتباطا تاما بهذه العلاقات ... وكانت ديانتهم عبادة السلف، وأن تقوي الأبناء هي أعظم فضيلة لديهم، بل هي سيدة الفضائل، والأسرة في الحقيقة هي أساس النظام الاجتماعي، وذلك لأن خطيئة الآباء قد يعاقب عليها الأبناء، علي أن تشريعاتهم وأخلاقهم لا تخرج في روحها عن الروح والقواعد التي رسمتها العلاقات العائلية، وبهذا الشكل، تسيطر الأسرة علي المجتمع كما سيطرت نسبة الحياة إلي الجماد علي الشعوب البدائية.

ويشهد كثير من الباحثين الموثوق بهم أنه ليس هناك أي مجتمع من المجتمعات تري فيه التربية شكلية وتغلب عليها الصبغة الأدبية، ولها من النفوذ العظيم ما للتربية في الصين، وبأنه ليس هناك أي مكان آخر كان للتربية فيه نفوذ مباشر ودائم في صبغ خلق الشعب بصبغة خاصة، وبأنه ليس هناك أي مكان آخر توجد فيه مظاهر نشاط التربية وعملياتها مثل الصين، وعلي هذا أصبحت بلاد الوحدة المطلقة، نتيجة لنظم تربيتها، فهي بلاد العرف والتقاليد المرعية، وهي البلاد التي لا يسمح فيها بأي تغيير في الطرق المعهودة في التفكير والوجدان والعمل، وإن حدث مثل هذا التغيير فهو نادر، ومع ذلك فالترربية محدودة في موادها، شكلية في طرقها، وعلي نمط واحد لا يتغير في تنظيمها.

## الفصل السابع الفكر التربوي في اليونان

## أولاً: أهداف التربية اليونانية:

تعود أهمية التربية اليونانية إلى فكرتها الناضجة عن الحياة ومستواها، نشأ عنها نضج الفكرة التربوية، مما ساهم في وجود نظام تربوي يعتمد على الحرية الذاتية وتشجيع حرية الابتكار، وإبداء الرأي التي من شأنها أن تساعد على التقدم والنجاح في ظل نظام اجتماعي وأداة اجتماعية تضمن حفظ حقوق الجميع وتحقيق الاستقرار الاجتماعي، فضلاً عن أن الثقافة اليونانية تضمنت أروع ما حققه الإنسان في المجال التربوي في عصرهم.

كما للتربية اليونانية اهتماماً كبيراً بإظهار شخصية الفرد ومحاولة فتح المجال لإظهار ميوله واستعداداته ومحاولة التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، والصالح العام يقصد به القدرة على القيام بدور إيجابي في جميع شئون الدولة، واعتقد الأثينيون أن أفضل ضرورة للمواطن هي التنمية الشاملة للفرد، واعتبروا أن التربية تعتبر حماية للدولة، إلا أنهم يرون أن أفضل إعداد للمواطنة هو تنمية الفرد عن طريق المشاركة في الأنشطة الدينية والاجتماعية والسياسية والعسكرية للدولة مع الاهتمام الشديد بالأخلاق التي كانت دائماً مع رأي عام قوي يحافظ على المثل التقليدية للأخلاق.

وكان الوفاء والولاء وضبط النفس (العفة) يدعم أكثر من الذكاء، وكان الهدف النهائي للتعليم الأثيني المبكر هو تنمية الفضيلة، ولم تحاول الحكومة الأثينية السيطرة على تعليم شبابها تماماً، فالإدراك القوي عن الشخصية الأثينية يترك بدرجة أكبر في أيدي الآباء، وكان التدريب البدني هو النوع السائد للتدريب، وكان تدريباً منظماً تنظيماً دقيقاً، إلا أن ذلك كان بهدف الرشاقة والتناسق لا مجرد القوة وتقوية الجسم، وأكد التدريب الأخلاقي على الفضائل القديمة واللازمة لخدمة الدولة، أما التدريب الفكري أو العقلي فكان أحد الأنواع اللازمة لأنشطة الاجتماعات والسوق فحسب، بل كتأثير يزيد من الفطنة ويسمو بالعقل والأخلاق، وكوسيلة لتنمية الشخصية والسمو والتسامي بالروح.

أما التدريب المنزلي والمهني فكانا مهملين، فمن بين نصف المليون الذين تكون منهم سكان أثينا كان هناك أربعمئة ألف من العبيد، وكان العمل اليدوي الذي يحتقره المواطنون الأحرار يؤديه طبقة العبيد، ومن ثم فقد كان التعليم الرسمي الذي يتم في الفصل يقتصر على المواطنين الذكور، أما البنات علاوة على العبيد فكانوا مستبعدين.

أما في أسبرطة فهذفت التربية إلى تدريب جماعة قوية من الجنود تجعل من أسبرطة معسكراً للتدريب العسكري، وكانت التربية تهدف إلى رفاة المجتمع، وكان هذا يتفق مع المثل اليوناني عن تفوق الفرد من أجل مصلحة الدولة، ولكن

الامتياز الفردي يقصد به الامتياز العسكري، وكانت المثالية الأسيرطية للمواطن الصالح تتمثل في القوة والشجاعة والتحمل والدهاء والوطنية والكفاية العسكرية، كان هدفهم تربية أمة عظيمة لا تهزم، وكان علي المواطن أن يكون باستمرار مستعدا للدفاع عن نفسه وعن بلاده في الداخل وفي الخارج.

**ويمكن القول إن مزايا التربية الأسيرطية من وجهة نظر البعض ما يلي:**

- مراعاة حاجة الدولة وما يحيط بها من قوي وعوامل.
  - تطبيق الزامية التعليم علي جميع المواطنين.
  - صيغ الأمة بصيغة قومية خالصة.
  - أبرزت للعالم نماذج رائعة في القوة والشجاعة واحتمال الآلام.
  - تعليم جميع مواطني أسبرطة علي وجه المساواة فقراء وأغنياء، ذكور وإناث.
- ولكن من عيوبها كما يري البعض:**

- المبالغة في اهتمامها بالجماعة والحكومة مع إهمال الفرد.
- المبالغة في حب الذات لذلك رفعت من شأن أسبرطة دون إعلاء شأن اليونان.
- قلة الاهتمام بالتربية العقلية والجمالية والجوانب الوجدانية.
- المبالغة في الخشونة والقسوة.
- الوازع الخلقي فيها غير عميق.
- وأد الأطفال الضعاف والمشوهين.

**أما التربية في أثينا فكان من مميزاتها من وجهة نظر البعض تتمثل فيما يلي:**

- توازن النفس البشرية.
  - تهيئة الحرية للإنسان.
  - انتجت عددا من العباقرة والفلاسفة كان لهم تأثيرا علي العالم كله.
- ولكن مما يؤخذ عليها كما يري البعض يتمثل فيما يلي:**
- كانت تربية ديمقراطية وارشتراطية في نفس الوقت، فبينما هي تضم جميع أفراد المجتمع بطبقاته يعيشون معا في دولة واحدة نجدها من ناحية أخرى تكفل الامتيازات لطبقة دون الطبقات الأخرى.
  - التربية العقلية والجمالية اقتصرت علي طبقة الأحرار والنبلاء فقط.
  - المهن والحرف اقتصرت علي العبيد.
  - نوع التعليم يرتبط بالقدرة الاقتصادية للفرد.
  - اقتصار التعليم بالمدارس علي الذكور فقط.
  - الاهتمام بالجانب النظري في التعليم وعدم الاهتمام بالناحية المهنية.
- ثانيا: الأسرة والتربية في المجتمع اليوناني:**

كان المجتمع اليوناني يعهد إلي الأسرة بتربية الطفل حتى سن السابعة، وكان الجانب المهم من هذه التربية هو الاهتمام بالناحية الجسمية عن طريق التربية البدنية، فيقوم الوالد بالكشف علي الطفل، ولم تكن التربية العائلية في أثينا من طراز راق عادة، إذ كان الطفل يترك غالبا في حضانة المرضعات والعبيد، أما في أسبرطة فقد اختلفت حيث قامت الأمهات بالإشراف المباشر علي الأطفال واشتهرن في جميع بلاد اليونان بحسن عنايتهن بأطفالهن من الناحية الجسمية والخلقية، ولقد كان علي الأم - وفق شرائع الدولة - ألا تقيد نمو الطفل أو تعيق حركته بكثرة اللفافات والأقمطة والأغطية، كما كان عليها أن تتعد عن تدليله بل تعامله بخشونة فتتركه دون استجابة لبكائه، كما تتركه بمفرده في الظلام ولا تجيب له مطالبه، وقد هدفت الدولة من وراء تربية الأطفال في سنهم المبكر علي هذا النحو إلي تدريب الأطفال منذ نعومة أظافرهم علي التحمل والصبر والتعود علي الحياة القاسية، وكان الوالد الذي يهمل في إعطاء ولده التدريب الصحيح لا يستطيع أن يجعل الابن مسئولا عنه في شيخوخته، وكان الطفل في سنواته المبكرة في الأسرة يربي تربية مصطبغة بألوان مختلفة من المؤثرات الفنية، وكانت الموسيقى والأغاني من وسائل تدليله وترغيبه في حب الموسيقى والألحان وكانت القصص الأسطورية تتلي عليه كما كان يعطي لعبا كالدمي والكرة ويعطي الفرصة ليجري ويقفز أو تصنع له المراجيح ليلهو بها، وكانت المرأة الأسبرطية بعد الزواج تتحجب وتلزم بيتها معظم الوقت انتظارا لعودة الزوج، كما كان المنزل في أسبرطة هو المدرسة بالنسبة للبنات، فلم يكن هناك مؤسسة للبنات علي غرار المعسكرات العامة للبنين، كما كانت البنات يتم تنظيمها في جماعات، الهدف منها إيجاد وسيلة لإعطائهن تعليما بدنيا وتنمية روح الجماعة وتكوين أجسام صحيحة من أجل إنجاب وتربية أبناء أقوياء وطنيين للدولة الإسبرطية العسكرية.

وفي أثينا لم تكن توجد حياة أسرية حقيقية، وكان للمنزل كمؤسسة تعليمية أهمية حقيقية، وكانت نساء المنزل أميات جاهلات، وكان الأطفال عادة تنشئتهم سيئة، وكانت العادات السيئة تتكون لديهم، كما كان التدريب القليل الذي تكتسبه البنات يعطي أحيانا عن طريق الأم، ولكنه كان يعطي عادة عن طريق المربيات من طبقة العبيد، ولم تكن للنساء مكانة عالية كمكانة النساء في إسبرطة، وكانت النساء الوحيدات المتعلمات والمثقفات في أثينا هن الوصيفات وهي طبقة خاصة تشارك في الحياة الاجتماعية والمناقشات الفلسفية للطبقات العليا، وفي أثينا كان الوالد نفسه وليس الدولة هو الذي يقرر ما إذا كان الطفل الوليد يعيش أو يتعرض للموت، وكان الولد يعيش في المنزل حتى يبلغ السابعة حيث يوضع تحت رعاية المربيات وكانت أثينا تعمل علي حفظ الأسرة - علي العكس من إسبرطة - باعتبارها وسيلة من وسائل

نمو شخصية الطفل وتشكيلها، وعليها عبء مسئولية التربية، وإذا كانت الرابطة العائلية غير وثيقة، وكان الحب الوالدي غير كاف، وكانت الالتزامات الاجتماعية غير كافية للمساهمة في تربية الطفل، إلا أن التربية الأثينية كانت تحافظ على الأسرة وتحيطها بسياج من الضمان، وكان الأفراد يتمتعون بكامل الحرية في منازلهم ولكن تحت إشراف قانون الدولة، وكانت التربية للطفل تسير بشكل غير شعوري نتيجة لتأثير عوامل البيئة كالمنزل والشارع والمدينة.

وتظل الفتاة الأثينية منذ ولادتها في جوار أمها لا تتعلم شيئاً سوي الخضوع والطاعة وغزل الصوف وحياته، فإذا بلغت الخامسة عشرة من عمرها زوجها أهلها من غير أن تكون لها حرية في اختيار زوجها، وحينئذ تلزم بيتها لا تخرج منه إلا في الأعياد والمواسم الدينية، وكان زوجها من الرجل لا لتكون شريكة له في حياته، ولا تكون عوناً له علي حوادث الأيام، ولكن لتلد له أولاداً، ولتقوم له بحراسة المنزل وتدبير شؤونه، كما كان الأثينيون يغفلون تربية البنات قصداً، إذ كانوا يرون أن الغرض من التربية هو إعداد النشاء للحياة العملية والقيام بواجب الوطن، وأن الرجال وحدهم أصحاب هذا الدور في الحياة وهذه الواجبات لا يمكن أن تقوم بها النساء، ولذلك يجب تعليم البنين وإهمال البنات طبقاً لعقيدهم التربوية.

### ثالثاً: الدور التربوي لمؤسسات التعليم اليونانية:

#### 1- المدارس الابتدائية:

ويلتحق بها الأطفال من سن 7 : 15 سنة، وكان سن الدخول ومدة الدراسة والمواد التي يتم تدريسها تعتمد إلي درجة كبيرة علي مركز العائلة، ولم يكن التعليم تحت سيطرة الحكومة، وإنما كان من عمل الأفراد والآباء تحت سيطرة قانون يلزم الوالد بأن يعلم ابنه في المدرسة، ومن يخالف ذلك يعد مذنباً، ومدة الدراسة تراوحت ما بين ثمان أو تسع سنوات غالباً، وكانت الدولة تهدف لإعداد النشاء رياضياً وموسيقياً، ولذلك عملوا علي إنشاء نوعين من المدارس، وكان علي الطفل الانتظام في حضورها، فيقسم اليوم الدراسي بين حلبة المصارعة والتمرينات الرياضية وقاعة الموسيقى.

#### 2- الجمائيزيوم:

ويلتحق بها المتعلمين في سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة حيث تنتهي دراسة الأدب والموسيقى والتمرينات الرياضية لتبدأ مرحلة جديدة لمدة عامين، يتلقون خلالها التدريبات الرياضية القاسية علي يد موظفي الحكومة وتحت إشراف ما يسمون بالمرشدين الأخلاقيين، ولم يكن كل الشباب يلتحقون بهذه المدارس، إذ كان كثيرون منهم يتجهون للحرف والمهن الصناعية يتكسبون منها.

والمتعلم في مدارس الجمانيزيوم كان يوضع تحت إشراف رقيب خلقي تابع للدولة وكان حازما جدا في متابعته للطالب، كما كانت التدريبات العسكرية شديدة وعنيفة.

### 3- مؤسسات الشباب:

مؤسسات الشباب من سن الثامنة عشرة وحتى العشرين، وبعد أن يتم التأكد من أن الشباب مكتسبا وتمتعنا بالنواحي الخلقية والجسمية، يدرج اسمه ضمن المواطنين الأحرار وعندئذ يقسم يمين الإخلاص والولاء للدولة وللألهة ولتقاليد الشعب الخلقية، بعد خدمته العسكرية في حراسة المواقع القائمة علي الحدود، ويعد في هذه المرحلة جنديا تحت التمرين، وفي نهاية العامين يتقدم لامتحان في حالة نجاحه يصبح أهلا للحقوق المدنية الكاملة، وفي المؤسسات السابقة كانت عملية تربيته تتم عن طريق التقليد والمحاكاة من خلال المثل والنموذج الحي كأن يقلد معلمه في تعلم الكتابة، وكان تدريبه بدنيا وموسيقيا وتعلمه لهما يتم بتقليده لمعلميه، كما كان يعتمد علي الحفظ في تعلمه القراءة، ومعظم تعليم الصبي كان معتمدا علي المشاركة الحقيقية في الحياة بأنشطتها المتنوعة، ولم تكن الامتحانات تهدف إلي اختبار المعرفة، بل لاختبار القدرات الجسمية والمدنية والمهارية، وكان التنافس غالبا يستخدم كحافز علي التعليم.

### رابعا: النظام التربوي في أثينا وإسبرطة:

تؤكد أدبيات التربية علي أن التعليم في أثينا وإسبرطة كان مقصورا علي الأحرار فقط، كما كان التعليم للذكور فقط، وإن كانت إسبرطة قد اتاحت فرصا أوسع لتعليم البنات، إلا أن حق المواطنة كان قاصرا علي الذكور فقط، وهكذا كان تقسيم المجتمع إلي فئات أحرار وعبيد صفة عامة مشتركة بين الولايات اليونانية، وقد أثرت في نظامها التربوي وما يرتبط به من مفاهيم.

ويمكن الإشارة إلي أن النظام التربوي والتعليمي تضمن ما يلي:

#### (أ) في المرحلة الأولى:

ظهرت في أثينا ثلاثة أنواع من المدارس هي مدارس لتعليم الكتابة وأخري لتعليم الموسيقى، والثالثة لتعليم الألعاب، وأحيانا كان يجتمع معلم الموسيقى مع معلم الكتابة في مكان واحد، وأحيانا كان الطفل يقضي نصف اليوم مع معلم، والنصف الثاني مع معلم آخر.

كما كان الرأي العام في أثينا ناضجا وقويا لدرجة أن الناس أقبلت علي تعليم أولادها دون قانون إجباري أو تداخل من الدولة في شئون التعليم، لأن فكرة المواطنة كانت تتطلب وعي المواطن وتعليمه.

#### (ب) المرحلة الثانية:

وهي مرحلة ما بعد التعليم الأولي وتهتم بالتربية البدنية والدراسة النظرية التي تضمنت الجدل والمناقشة والفلسفة وغير ذلك من المهارات المتنوعة، وكانت تضم ثلاثة مدارس الأولي هي معهد الأكاديمية للأرستقراطيين وهو أقدم المعاهد، والثانية هي معهد لسيوم وتضم أبناء الجماعات المنتمية إلي فئة المواطنين حديثا من التجار وأصحاب المهن، والثالثة هي معهد سينوسارجس وهو خاص بالجماعات غير المتمتعة بالحقوق المدنية.

وكانت التربية العسكرية محترمة من جانب الجميع، أما في إسبرطة فقد تميزت التربية الإسبرطية بالطابع العسكري، وبإشراف الولاية إشرافا تاما علي جميع مرافق مؤسسات التعليم، فكانت توافق علي أنواع معينة من المعاهد وتمنع أنواعا أخرى، وكان التعليم يعكس النظم السياسية والاجتماعية في الدولة، ففكرة المواطنة في إسبرطة كانت عبارة عن الشخص الذي يفهم واجباته الحربية، والذي كان يرسم صورة هذا المواطن هي الدولة، ومن هنا كان خضوع التعليم لسultan الدولة المركزي.

وبذلك يستنتج البعض أن التعليم في كل من أثينا وإسبرطة كان يهتم بتعليم القلة من الناس إذا تمت مقارنته بالتعليم في المجتمعات المعاصرة لأن طبقة العبيد كانت تمثل عددا كبيرا من السكان وهي طبقة غير متعلمة، ولكن أثينا كانت أكثر ديمقراطية من إسبرطة لإتاحتها فرصة التعليم للأجانب، أما من ناحية معاملة الدولة للطبقة المتعلمة من المواطنين نجد أن إسبرطة كانت تعلم كل الإسبرطيين علي وجه المساواة، أما في أثينا فكان نوع التعليم يرتبط بالقدرة الاقتصادية للفرد، كما أن أثينا قصرت التعليم في المدارس علي الذكور بينما إسبرطة اهتمت بتعليم البنات بجانب الذكور.

وجدير بالذكر أن إسبرطة طبقت نظام الإلزام في التعليم، أما في أثينا فالدولة لم تفرض التعليم، ولكن الرأي العام واحترام المواطنة هو الذي كان يجعل التعليم ضروريا وإجباريا، وفكرة المواطنة وارتباطها بالتعليم جعلت التعليم في أثينا أكثر تحقيقا لمبادئ الديمقراطية لأن إسبرطة اهتمت بجانب واحد من جوانب الشخصية، ويلاحظ أيضا أن أثينا كانت تهتم بالجانب النظري ولم تهتم بالجانب المهني الذي يعد هاما جدا في تقدم المجتمعات.

#### خامسا: تربية الطفل:

لقد كان الطفل الأثيني يلقن تلقينا دينيا خاصا حيث يدرّب علي عبادة آلهة الأسرة، فضلا عن ما كان يتفاه من أصول العقيدة في الصلوات الدينية العامة، حيث كان يمارس الأناشيد والرقص الديني ويحضر الحفلات الدينية المنظمة، وكان الطفل في المرحلة العمرية ما بين السابعة والسادسة عشرة يقضي أكثر من نصف حياته

المدرسية في الألعاب الرياضية، علي أن فترة الإعداد للجندية كانت تشمل عامين، يقضيها الشاب في الملعب وعامين آخرين في حراسة الحدود أي في التربية البدنية. وجدير بالذكر أن الطفل كان يبقى مع أسرته في منزله حتى سن السابعة، ويترك أمر تربيته إلي مربيات من الأمهات حيث يحظون بعناية كبيرة وبإشراف الوالدين عليهم، أما سن الالتحاق بالمدرسة الابتدائية فكان يبدأ من السابعة، ولم يكن التعليم تحت سيطرة الحكومة، ولكن كان من الأفراد والآباء تحت سيطرة القانون الذي يلزم الأب بأن يعلم ابنه في المدرسة، ومن يخالف ذلك يعد مذنباً، ويستمر التعليم في هذه المدرسة التي تقابل المدرسة الابتدائية في وقتنا الحالي لمدة تتراوح بين ثمان وتسع سنوات، وكان الهدف العام للتربية الأثينية يدعو إلي النمو المتناسق للفرد في النواحي العقلية والجمالية والبدنية.

أما في إسبرطة فقد كانت الدولة تمتلك الطفل منذ مولده ويسمح للطفل بالبقاء تحت رعاية الأم لمدة سبع سنوات ثم يرسل كل الأطفال إلي مؤسسات تديرها الدولة من سن (7) : (15) أو (16) سنة، حيث يتولي أمرهم مرب يعاونه بعض المساعدين ويصبح الطفل عضواً في أسرة أكبر هي الدولة حيث يعيش الطفل مع غيره من الأطفال في نظام قاس ويأكل الأطفال معا ويرتدون ملابس متشابهة وينامون في معسكرات يغلب عليها النقشف، ولم تسنح الفرصة للطفل الاسبرطي تربيته علي التدريب العقلي فقد غطت التربية العسكرية الجوانب الأدبية في مناهج التعليم، أما البنات فقد عهدت تربيتهن إلي الأمهات حيث يتم إعدادهن جسماً وخلقياً لتصبح الفتاة زوجة تقدم للدولة محاربيين أصحاء أشداء، وقد كان نتيجة تربية الأطفال طبقاً لهذه الآليات أن أصبحوا ليس لهم القدرة علي الاعتماد علي أنفسهم أو توجيهها، كما أن قدرتهم علي التفكير أو التخيل محدودة وأنهم لم يعودوا مواجهة المشكلات ومحاولة حلها بعقلانية، وفي إسبرطة لم يكن تعليم البنات مهماً حيث ساد شعور بأن المرأة يجب أن تكون مساوية للرجل في القوة والشجاعة، لهذا كانت البنات يتم تدريبهن بتمرينات رياضية، ولم تهتم تربيتهن بالتواضع أو بالرفق حتى يصبحن أقدر علي إنجاب أطفال أقوياء أصحاء، ولإعدادهن لتحمل صعوبات الحياة الخطرة، كما كانت البنات تجاهدن لإحراز الكرامة النسائية القوية.

#### سادساً: الثواب والعقاب:

كان النظام في إسبرطة في معظمه قاسياً وشديداً وكان العقاب البدني يستخدم لكل الانحرافات الأخلاقية ولعدم اليقظة وعدم القدرة علي التكيف، وكان ينظر ويتوقع المجتمع من كل مواطن بالغ أن يعاقب أي ولد يضبط في حالة انتهاك لأحد قواعد السلوك المتفق عليه، وكان الخوف من عدم القبول العام يستخدم كمؤثر فعال

للدافعية، كما كانت تستخدم المنافسة والمزاحمة علي نطاق واسع كوسائل لحفز التعليم.

كما كان النظام التعليمي في أثينا قاسيا إلي درجة كبيرة، وكان العقاب البدني مستخدما علي نطاق واسع وحتى المربي العبد كانت له سلطة استخدامه في عقاب الأطفال الواقعين تحت مسؤوليته بالضرب والجلد في المدرسة الابتدائية وكان يقوم بالإشراف علي سلوك الأطفال ويراقب أخلاقهم أشد المراقبة وعلي الطفل طاعته والامتثال لأوامره حتى لا يتعرضون للضرب والجلد والعقاب الشديد، وعلي الرغم من أن الفصول المدرسية كانت صغيرة إلا أن العلاقة بين المعلم والتلميذ لم تسودها المحبة، أما عن الانضباط وحفظ النظام فقد كان المعلمون يلجئون إلي العقوبات والمكافآت، ولقد كان لكل معهد من معاهد التربية البدنية الثانوية مراقب خاص به رجال الحكومة يراقب أعمال الطلاب ويشرف علي سلوكهم ويسمي مراقب الآداب، وهذا المراقب خاضعا لمجلس يسمي الأريوباج (مجلس عال أعضاؤه من الشيوخ ومن أعماله حماية القوانين ومراقبة أخلاق الأمة له الحق في القضاء بالعقوبة دون أن يملك أي فرد مراجعته أو الاعتراض عليه)، وهذا المراقب له الحق في أن يعاقب المتعلم أشد العقاب في حالة استهانتته بقوانين البلاد أو انتهاك حرمة الآداب.

## المراجع

- 1- أحمد محمد أحمد: أصول التربية، المنيا، دار أبو هلال، 2014.
- 2- \_\_\_\_\_: التربية الأسرية، عمان، الأردن، 2013.
- 3- المر. هـ. وايلدز، كينيث. ف. لوتش: أصول التربية الحديثة، ج1، ترجمة محمد سمير حسانين، طنطا، مصر، مؤسسة بورسعيد، 1977.
- 4- بول منرو: المرجع في تاريخ التربية، ترجمة صالح عبد العزيز وحامد عبد القادر، القاهرة، النهضة المصرية، 1949.
- 5- سيد إبراهيم الجبار: دراسات في تاريخ الفكر التربوي، الكويت، وكالة المطبوعات، 1974.
- 6- عبد الله عبد الدايم: تاريخ التربية، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، 1960.
- 7- عرفات عبد العزيز سليمان: اتجاهات التربية عبر العصور، القاهرة، الأنجلو المصرية، 1977.
- 8- محمد سمير حسانين: تاريخ تربية الطفل، طنطا، مصر، دار الأمل للطباعة، 1997.
- 9- مصطفى عبد القادر زيادة وآخرون: الفكر التربوي، الرياض، مكتبة الرشد، 2003.

## الفصل الثامن الفكر التربوي الإسلامي

## تمهيد:

حقق الإسلام تصوراً شاملاً للكون والإنسان والمعرفة والقيم، من خلال رؤية وسطية في تفسيره للعالم ولطبائع الأشياء والمواقف والأحداث، واعتداله في تسيير حياة الدنيا والآخرة، لأنه رسالة من عند الله، خالدة في القرآن الكريم، رسالة واقعية، قابلة للتطبيق، وليست فكراً مثالياً حالماً، وأن تطبيق هذه الرسالة نراه واضحاً في حياة الرسول ذاته، وبين أصحابه، أي في السنة النبوية المطهرة، ويرى البعض أن فلسفة التربية الإسلامية يقصد بها مجموعة من المبادئ والمعتقدات المستمدة من تعاليم الإسلام، والتي لها أهمية تطبيقية وتوجيهية في المجال التربوي، وهي أيضاً التطبيق التربوي لرؤية الإسلام للكون والطبيعة الإنسانية والمعرفة والقيم، أو أنها المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلي المبادئ والقيم الإسلامية، والتي تتحقق من خلال عدد من الإجراءات والطرق العملية يؤدي تنفيذها إلي أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام.

### أولاً: أهداف التربية الإسلامية:

تهدف التربية من وجهة نظر الإسلام إلي:

#### 1- عبادة الله الواحد الأحد:

تتميز الثقافة العربية الإسلامية بالتوحيد الذي ركز عليه القرآن الكريم في كثير من الآيات كقوله تعالى: (هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب) (إبراهيم:52)، لذلك يحق القول أن التوحيد هدف شامل لأوجه الثقافة العربية الإسلامية في نشاطها المعنوي والمادي، وفي إبداعها الفردي والجماعي، وعندما نضع العبادة الهدف الأول، فإننا ننطلق من قوله سبحانه وتعالى: (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون)، (الذاريات:56)، والعبادة لا تعني الطقوس وأداء الواجبات الدينية فحسب، بل تشمل إلي جانب ذلك كل ما يقوم به الإنسان من عمل أو فكر أو شعور، فالعبادة منهج حياة يتضمن كل الحياة، ويشتمل على كل ما يقوم به الإنسان من أقوال وأحاسيس وسلوك، وبذلك يمكن القول إن هدف الأهداف هو العبادة التي تشتمل العبادات والمعاملات والعمل والسعي لكسب رزق والإحسان والخلق الكريم والمعروف والبر.

#### 2- تهذيب الأخلاق وضبط السلوك:

تنعكس قيمة الأخلاق وسموها في ثناء الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم بقوله تعالى: (وإنك لعلی خلق عظیم) (القلم:4)، فهناك ترادف بين السلوك الديني والسلوك الأخلاقي، ويعبر عن ذلك الغزالي بقوله: "التربية إخراج الأخلاق السيئة، وغرس الأخلاق الحسنة"، وترفض التربية الإسلامية أي فعل منبثق عن العاطفة أو الهوى أو نتيجة ضغط أو قسوة قاهرة تبطل قدرة الفرد على الاختيار التي تتحدد على أساسها

مسئوليته الأخلاقية، ولو تطبع الإنسان بالخير وأحسن تربيته، فإن سلوكه يصبح خيراً ويصدر بسهولة ويسر، فالتربية الأخلاقية مسئولية جماعية، وكمال الإنسان لا يتحقق إلا بكمالين: كمال العلم، وكمال الخلق، وكل منهما مرتبط بالآخر و متم له، وبالأخلاق القويمة يتحقق جوهر الإنسان وتكتمل سعاداته، ولهذا يقول ابن القيم: (الدين هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين).

### 3- التفكير والبحث:

لم تقتصر الأهداف على الجانب التعبدية والخلقي، بل امتدت للجانب العقلي والتجريبي، والاهتمام بالعقل والتدبير يشمل جميع الميادين والمجالات والدعوة إلي العلم بمفهومه الشامل الذي ينظم كل ما يتصل بالحياة، ونجد القرآن الكريم يؤكد على النظر والتدبير في ظواهر الوجود ومظاهر الحياة في مثل قوله تعالى: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير) (العنكبوت:20)، وقوله: (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تعني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (يونس:101)، كما يؤكد القرآن الكريم اهتمامه بدراسة الكائن البشري في مثل قوله تعالى: (لينظر الإنسان مم خلق) (الطارق:5)، كما أصبح الكون كله كتاباً للمعرفة يستحق التأمل والتدبير، ويستلزم البحث والتفكير عن طريق العقل والبرهان والحجة والإقناع، فيقول سبحانه وتعالى: (وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون) (الذاريات،20-21)، والتأكيد على ذلك يستهدف استبعاد الأساليب الأخرى التي تعتمد على الظن أو تقليد الآخرين.

### 4- إتقان العمل والإخلاص فيه:

والأهداف لا تكتمل من غير ممارسة وفعل، فالعبادة والأخلاق القويمة واستخدام العقل والفكر لا يبد من ترجمة كل ذلك إلي عمل شامل، ولا يقتصر مفهوم العمل على الاحتراف أو الامتهان أو الاستصناع أو الاتجار، وإنما يتسع ليشمل كل عمل أو منفعة يؤديها الإنسان مقابل أجر يستحقه سواء أكان عملاً يدوياً أو ذهنياً، أو إدارياً أو فنياً بقواعد وأصول العمل، حيث يرتبط تربوياً وعملياً بالجد، والهمة، والمواظبة والصلة وثيقة بين العلم والعمل بمعناه التعبيري والإنتاجي لقول الرسول الكريم: (تعلموا تعلموا فإذا علمتم فاعملوا).

### 5- احترام عقائد المخالفين:

يعد التوحد مع المجتمع والانتماء إليه هدفاً عاماً تحرص عليه الثقافة العربية الإسلامية وتنميه لدى أفرادها، ومن خلال الهدف العام يكون التوجه إلي التقوى والصلاح كمعيار للتفاضل بين الناس، وقد تتطلب ذلك التوحد علاقة وثيقة مع الأسرة والأقارب والحيران، وليست غاية التوحد مع أبناء المجتمع والشعور بالأخوة إشباع الدوافع النفسية وحدها، بل غايته إشباع الحاجات المادية وتوفير متطلبات الحياة، وأن

ينال كل فرد ما يناله الآخر، ويتطلب ذلك في التربية تطبيق أساليب وتوجيه تنمي الولاء الجمعي دون تمييز بين الألوان والطبقات، وفي هذا المجال استشهد "ابن سحنون" بحديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إيما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعاملهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم، وغنيهم مع فقيرهم، حشر يوم القيامة مع الخائنين.

#### 6- الصحة والاعتدال في الجسم:

تهتم التربية الإسلامية برعاية الجسم والحرص على إمكاناته وقواه حرصاً بالغاً، وهذا يتطلب غذاءً صحياً حسناً في اختياره، ودقة في مواعيده، واعتدالاً في تناوله، وهذا يتطلب سلوكاً أخلاقياً قويمًا، وعدم تناول ما حرم الله من طعام أو شراب لضرره على الدين والجسم والمال والصحة، وتحقيق هذا الهدف يساعد على تحقيق الأهداف الأخرى، مثل: الإخلاص في العمل والاستمتاع بزيينة الله التي تقتضي الترويح البريء واللهو النظيف والتمتع بالخيرات دون إفراط أو تفريط وفكرة الاعتدال في الأكل وتجنب أطعمة معينة أكدها "الزرنوجي"، بقوله: (فالبطنة تذهب الفطنة)، كما دعا إلي عدم أكل طعام السوق خوفاً من عدم نظافته وذهاب بركته.

#### 7- الاستمتاع بزيينة الله:

التوحيد لا ينكر الجمال، ويرى الجمال كله في الله وفي كلامه، وسائر مظاهر إبداعه وآياته، والأخذ بأسباب الزينة لا يعني الانغماس في الشهوات أو التردى فيها، بل يعني التسامي بالإحساس الجمالي حتى يستطيع الإنسان أن يقدر الجمال بنسبه وعلاقاته، فالصلة وثيقة بين الأخلاق والاستمتاع بالزينة دون إفراط أو تفريط، والأخلاق والعقل يوجهان الإنسان عند استمتاعه بالزينة، وبذلك يتحقق التوسط والاعتدال.

#### 8- احترام عقائد الآخرين:

الالتزام بالأهداف السابقة والتمسك بها يقتضي احترام الآخرين وتقدير عقائدهم دون إكراه أو تدخل إذ: (لا إكراه في الدين) (البقرة:256)، ولقد تفاعلت الثقافة العربية الإسلامية مع أجناس متعددة وأقوام متباينة من البشر لكل منها ثقافتها وعقيدها، وتعاملت معها باحترام وتقدير عملاً بقوله سبحانه وتعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) (الحجرات:13)، ومثل هذا الاحترام مبني على ما قرره السنة النبوية، وعملت بمقتضاه من أن الناس سواء كأسنان المشط، ولا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى والعمل الصالح، والاتجاه العام أن الثقافة الإسلامية احترمت الثقافات الأخرى ولم تظلم شعوبها، ولا ينفى ذلك أنه قد حدثت تجاوزات وانتهاكات إلا أن

ذلك كان خروجاً عن القاعدة التي حددها الرسول الكريم بقوله: (من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حججه يوم القيامة)، وهكذا كان الاحترام والتقدير السمة العامة، وما حدث من أخطاء وتجاوزات كان نتيجة ظلم حكام غاصبين وقع فيه على غير المسلمين مثلما وقع على المسلمين.

**ثانياً: تطبيقات تربوية للتربية الإسلامية:**

### **1- المنهج في التربية الإسلامية:**

توجد عدة معايير تحدد اختيار المضمون المعرفي والمحتوى التعليمي للمناهج الدراسية في التربية الإسلامية، تتمثل فيما يلي:

- المعيار الديني والخلقي والتهديبي، ويتضمن هذا المعيار قيمة المادة التعليمية في تربية الجسم والعقل والنفس باعتبارها متطلبات دينية في حد ذاتها، وكذلك قيمة المادة الدراسية في تنمية الإيمان بالله وبلوغ الكمال الإنساني في السلوك الفردي والاجتماعي، وقيمة المادة الدراسية في توجيه الفرد في حياته إلى ما فيه صلاح نفسه وخير مجتمعه، وما فيه تهذيب لنفسه وتوجيهه إلى الحياة الفاضلة الكريمة في ظل مجتمع سليم.

- المعيار الثقافي والمعرفي، ويتضمن هذا المعيار قيمة المادة الدراسية في تثقيف العقل وتزويد الإنسان بالمعرفة الضرورية التي تمكنه من القيام برسائلته كخليفة الله في الأرض، وقيمة المحتوى العلمي للمادة الدراسية في تنمية التفكير العلمي والرؤية النقدية والتعقل والتدبر في كل الأمور الحياتية، كما يتضمن قيمة المقرر الدراسي في تنمية حب المعرفة والعلم والبحث العلمي لدى الفرد، ليصبح ذلك اتجاهاً أصيلاً في حياته يمكنه من النماء المعرفي الذاتي المستمر.

- المعيار النفعي الوظيفي، ويتضمن هذا المعيار قيمة المادة الدراسية في تمكين الفرد من المهارات المعرفية والعلمية والممارسات التطبيقية اللازمة له لكسب عيشه والاعتماد على نفسه في القيام بدوره ووظيفته كفرد نافع ومنتج ومفيد لنفسه ومجتمعه.

### **2- دور المتعلم:**

- إخلاص النية لله في طلبه للعلم: وينزه عمله في طلب العلم عن الإفراط في الأغراض الدنيوية، مثل الحصول على المال والرئاسة، والارتفاع على زملائه والتفاخر والكبرياء والتمايز عن الآخرين، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير وجه الله، فليتبوأ مقعده من النار).

- التفرغ لطلب العلم: يتطلب نجاح طالب العلم في مهمته التفرغ للعلم والابتعاد عن كل ما يشغله أو يعوقه عن تحصيله، ويؤكد ذلك قول رسولنا الكريم في ضرورة تفرغ الإنسان للعمل الذي يقوم به بقوله: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)،

ويرى "ابن جماعة" ضرورة أن يبادر طالب العلم شبابه وأوقات عمره في التحصيل، ولا يغتر بخدم التسوية والتأويل فإن كل ساعة تمضي من عمره لا بدل لها أو عوض عنها.

- الإتيان وهو المعيار الذي تزن به قيمة العمل من حيث السمو والضعفة، ويرى "حاجي خليفة" أن من العوامل المساعدة على الإتيان في طلب العلم الجد والهمة وعدم تأخير عمل اليوم إلي الغد، وكتابة ما يتعلم لأن العلم صيد والكتابة قيده.

- ربط العلم بالعمل: ولقد شجع الإسلام على العمل بالعلم، لأن فائدة انتشار العلم في العمل به، ولأن التقدم الحضاري متوقف على العمل به، ولهذا قال الرسول الكريم: (تعلموا العلم وانتفعوا به ولا تتعلموه لتتجملوا به).

### 3- دور المعلم:

- الاهتمام بالتنمية المتكاملة الشاملة لجميع جوانب شخصية الإنسان.

- الاعتماد على التطبيق العلمي والممارسة الواقعية في جميع آليات العمل المدرسي، فالمبادئ الرئيسية الخمسة التي بني عليها الإسلام تتطلب سلوكاً عملياً، فالشهادة بوحداية الله ونبوة رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم)، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان، كلها تتطلب سلوكاً عملياً وجسمياً ونفسياً ولفظياً.

- التدرج في عرض محتوى المنهج المدرسي من البسيط إلي المركب.

- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين من خلال استخدامه للطرق والأساليب الملائمة لجميع مستويات التلاميذ العقلية والمهارية والوجدانية لتحقيق تكافؤ الفرص بينهم، واكتشاف الموهوبين منهم، والوقوف على قدراتهم وإمكاناتهم الخاصة، لأن نجاح المعلم مرتبط بقدرته على إدراك حاجات واهتمامات المتعلمين.

- تدريب الطلاب على الاعتماد على أنفسهم وتحمل المسؤولية، وأن يكون المعلم هو القدوة الحسنة لطلابه في ذلك، من خلال أدائه المتميز وعطائه الفياض وإخلاصه في العمل وحرصه على الاستثمار المناسب لوقت العمل.

### 4- الثواب والعقاب:

تذهب التربية الإسلامية في توجيهها التربوي إلي ضرورة الجمع بين الترغيب والترهيب، فهما متلازمان يكمل بعضهما الآخر، حيث أن الترغيب معناه الأمل في وعد الله، والرجاء في نعمه تعالى، فكلما عملت النفس عملاً صالحاً خيراً، كان على المربي أن يتيين ثمراته اليانعة وما يكافأ عليه من فضائل وعطايا ومنح، أما الترغيب فهو ضروري لعلاج السلوك غير السوي، لأن النفس إن لم تؤدب انقادت إلي الأهواء وفسدت في طبعها وأصبح الترغيب في هذه الحالة ضرورة، ولقد حدد منهج الفكر الإسلامي مصير الإنسان بين الثواب والعقاب، فتقرر التربية القرآنية الثواب للمحسنين، كما في قوله تعالى: (أتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب

المحسنين) (آل عمران:148)، كما تقرر التربية القرآنية العقاب للمسيئين، كما في قوله تعالى: (اعلموا أن الله شديد العقاب) (البقرة:196)، فالثواب والعقاب أسلوب واحد يتضمن شقين، لا يمكن للمعلم أن يركز على أحدهما وإهمال الآخر، ففي حالة الإساءة يعاقب التلميذ، وكذلك يثاب إذا صدر منه سلوك حسن، فالموازنة ضرورة منشودة بين الثواب والعقاب، وعلى المعلم تجاه ما سبق أن يحسن استخدام كل من الثواب والعقاب بحكمة وحزم، وفي الوقت المناسب وبالقدر المناسب دون تمييز، وليكن لجوء المربي للثواب قبل العقاب، إن الهدف من العقاب في التربية الإسلامية هو الإرشاد والإصلاح، لا الزجر والانتقام، ولهذا حرص المربون المسلمون على معرفة طبيعة الطفل ومزاجه قبل الإقدام على معاقبته، فتكوين العادة في الصغر أيسر بكثير من تكوينها في الكبر، ذلك أن الجهاز العصبي للطفل وتكوينه النفسي أكثر قابلية للتشكيل، ومن أجل هذه السهولة يأمر رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) بتعويد الأطفال على الصلاة قبل موعد التكليف بها بزمان كبير، فإن لم يكن قد تعودها بالفعل من تلقاء نفسه فلا بد من إجراء حاسم يضمن إنشاء وتكوين هذه العادة وترسيخها، وإذا كان الإسلام قد أجاز للمعلم العقاب البدني للتلميذ إلا أنه ألزمه بجملة من القواعد والاشتراطات، منها:

- مراعاة التدرج في الخطوات، مثل النصح والإرشاد والتوجيه، فإذا صدر من المتعلم إساءة أو خطأ على المعلم تعريفه بخطئه ونصحه وإرشاده إلي السلوك المناسب بأسلوب هادئ ولطيف، ثم التأنيب والتوبيخ، وقد حذر "الغزالي" من كثرة الزجر والتأنيب وتكرار اللوم لكنه قد يأتي بعكس ما ننشده من إصلاح، ثم الهجر والمقاطعة والحرمان، كأن يحجم عن إعطاء التلميذ المسيء بعض الدرجات المعطاة لغيره، أو يهمل منحه، أو يمنعه من ممارسة بعض الأنشطة، وغير ذلك من أشكال العقاب المعنوي، كالإعراض والمقاطعة لفترة زمنية محددة، ثم التخويف والتهديد، فالترهيب يعزز الالتزام بالفضيلة والابتعاد عن الرذيلة، وقد يكون التخويف من خلال التلويع بالعصي، بحيث يشاهدها التلاميذ، وقد جاء في التربية النبوية: (علقوا السوط بحيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم) (الطبراني 10/344-345 رقم 1447)، ثم العقاب البدني ونلجأ إليه عندما تفشل الأساليب السابقة، فيرى "القاسبي" لا مانع من استخدام العقاب البدني لإنقاذ الصبي من مغبة السلوك الذي لم يحد عنه، وطبقاً لما سبق يجب على المعلم أن يتدرج في العقاب مراعيًا الموقف الذي هو بصدد علاجه، مع مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ، والفروق بين التلميذ ونفسه في مواقف أخرى.

- بداية الضرب، فالضرب لا يبدأ قبل بلوغ سن العاشرة، قياساً على ما جاء في التربية النبوية، حيث جاء في الحديث النبوي الشريف: (مروا أولادكم بالصلاة وهم

أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع) (سنن ابي داود:459)، فإذا كان الضرب على الصلاة لا يصح قبل بلوغ سن العاشرة، فمن باب أولى في التعليم المدرسي، وتأسياً على ذلك وتأسيساً به يمكن أن يعود الطفل على ممارسة الآداب والفضائل الخلقية لثلاث سنوات قبل ضربه على مخالفتها.

- تجنب الضرب عند الغضب حتى لا يستخدم المعلم الضرب كوسيلة يشفي بها غضبه، وحتى لا يخرج العقاب عن طور التأديب والتقويم إلي الانتقام والتشفي، وقد نهى رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم): (لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان) (البخاري:4/390)، وتشير دراسة سابقة إلى النتائج التالية:  
- الإسلام أجاز العقاب بصورة عامة، حيث أن الغرض منه الإرشاد والإصلاح.  
- منع الإسلام استخدام العقاب البدني للتلميذ، قبل سن العاشرة، ولا يصح الاستمرار به بعد سن البلوغ.

- العقاب البدني في المدرسة، ليس هدفاً وإنما وسيلة لإصلاح المتعلم.  
- الاعتدال هو منهج الإسلام في العقاب البدني، حيث استخدام القوة والموعظة، والترغيب والثواب، ولكنه أيضاً استخدم التخويف والترهيب.  
- العقاب البدني ليس هو الوسيلة الوحيدة التي تحسم الداء وتبرئ العلة.  
- لا نلجأ إلي العقاب البدني إلا كآخر وسيلة، إذ لم تتجح الوسائل الأخرى.  
- الثواب أكثر فاعلية من العقاب في التعلم، كما أن قيمة الثواب ليست في حد ذاته، وإنما تكمن في مدى تحفيز المتعلم وتشجيعه على تكرار السلوك.  
- النجاح يؤدي إلي النجاح، لذلك فالثواب أفضل أثراً من العقاب.  
ويمكن القول إن التهاون مع الطلاب المقصرين ليس (رفقاً) بهم، بل هو ظلم لهم، لأن ذلك يعودهم على الانحراف والتقصير، كما أن أخذ الطلاب المنحرفين بالشدة رفق بهم، لأن ذلك سيردهم إلي الطريق الصحيح.

مما سبق يمكن القول أن المربي المسلم أهتم بأمر عقوبة الطفل المقصر لتعليمه وتهذيبه ورأي بعض المربون المسلمون أنه لايد من العقوبة، على أن لا تتجاوز حدود الإنذار، فالتوبيخ فالتشهير فالضرب الخفيف، وقال آخرون بإباحة الضرب والعقوبة الجسدية الشديدة إذا ما تجاوز الطفل حدود المعقول المقبول، ولم ينفع فيه الإنذار، والتوبيخ، والتشهير والزجر، والضرب الخفيف، والأكثر يرون أن العقوبة تنقسم إلي قسمين، أحدهما: روحي، وثانيهما: بدني، ويجب أن تسبق القسمين النصائح والتوجيهات، فإن لم تجد نفعاً، ولم يجد المؤدب بدأً من اللجوء إلي العقوبة فإنه يبدأ بالعقوبة الروحية من العبوس، فاللوم، فالإهانة على انفراد فالتوبيخ أمام الرفقاء، فإن لم تجد العقوبة الروحية نفعاً لجأ إلي العقوبة الجسدية.

وكما يعاقب المعلم تلميذه على إهمال دروسه، يعاقبه على الإسراف في لعبه، ولهوه، وعلى الهرب من كتابه وعلى إيذاء أخوانه، على أن كثيراً من المؤدبين كانوا يلحون إلحاحاً شديداً بوجود عدم الضرب أو الشتم لما فيها من الفساد حتى قال "سحنون" لمؤدب ولده "محمد" حينما سلمه إياه ليعلمه، .... ولا تؤدبه إلا بالمدح ولطف الكلام وليس هو ممن يؤدب بالضرب أو التعنيف، فهذا يعكس أن بعض المسلمين المربين كرهوا الضرب أصلاً وأوجبوا عدم العنف لما في ذلك من الضرر البالغ.

**ثالثاً: مؤسسات التربية:**

### **1- الأسرة والتربية في الإسلام:**

يعد اهتمام القرآن الكريم والحديث الشريف بالأسرة اهتماماً بالغاً وعظيماً، مما يعكس أهميتها بالنسبة للفرد المسلم والمجتمع الإسلامي، ولقد تحددت معالم البناء الأسري، وأسسها، بداية من الزواج وما يرتبط به من أمور واشتراطات، ثم الأبناء كثرة لهذا الزواج، ومسئوليات الآباء نحوهم، ومسئولياتهم نحو الآباء من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تحديداً واضحاً يعكس الحرص الكبير على بناء الخلية الأولى للمجتمع الإسلامي.

وإذا كانت جميع المؤسسات التربوية في المجتمع هامة ويجب الاهتمام بها، فإن الأسرة تأتي في المقدمة لأنها تمثل المعلم الأول لأفراد المجتمع، والخلية الأولى في بنائه، فإذا صلحت صلح المجتمع، ويعد النجاح في بناء الأسرة وفقاً لأسس الإسلام وأهدافه نجاحاً للمؤسسات التربوية الأخرى، لأن الأسرة تمثل الأساس الذي بني عليه عمل هذه المؤسسات والدعامة الرئيسية لبناء المجتمع المسلم، والقرآن الكريم والحديث الشريف بهما الكثير من النصوص والشواهد التي تشير إلى أسس بناء الأسرة والمبادئ التي تقوم عليها العلاقات بين أفرادها وبين هؤلاء الأفراد وخالفهم، ومن الأسس التربوية للزواج ما يلي:

**- الدعوة إليه:**

إن دعوة الإسلام إلى الزواج دعوة صريحة ملزمة تحث عليه، وترغب فيه لكل من كان مستطيعاً قادراً عليه وعلى تحمل مسؤولياته، لأنه المدخل الشرعي الطبيعي لتكوين الأسرة، فقال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (الروم:21)، وتحث التربية النبوية الشباب على الزواج فيقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) في ذلك: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)، والعزوف عن الزواج أمر غير مشروع لأن الزواج سنة الله سبحانه وتعالى جاء بها جميع الرسل، وما من رسول

من الرسل، عليهم الصلاة والسلام، من أولهم إلي خاتمهم، إلا وله زوج وذرية، فيقول المولى سبحانه وتعالى: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله لكل أجل كتاب) (الرعد:38)، ولقد اهتمت التربية النبوية بالدعوة إلي الزواج والتشجيع عليه فيقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): (ثلاثة حق على الله عونهم، المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله) ويقول عليه الصلاة والسلام (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير).

مما سبق نستنتج أن التربية الإلهية والنبوية استخدمتا أسلوب الترغيب للدعوة

إلي الزواج بصور متعددة منها ما يلي:

- أنه آية من آيات الله.
- أنه اقتداء بالأنبياء والرسل.
- أنه سبيل إلي الغنى: (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) (النور:32).

**- الاشتراطات التي يجب توافرها في الزوجين:**

- الدين.
- الأصل والشرف.
- الكفاءة.
- القدرة على الإنجاب.
- تفضيل الأبقار.
- سلامة البدن وصحة الجسم.
- الاغتراب في الزواج، أي تفضيل النساء غير الأقارب على ذوات النسب والقرابة.

**- حقوق الزوجين:**

- حقوق الزوج (تعظيم حقه - الانتقال بالزوجة - عدم إدخال من يكره الزوج - تأديب الزوجة عند النشوز).
- حقوق الزوجة (المهر - النفقة - حسن معاشرتها وإكرامها ومعاملتها بالمعروف والرفق في معاملتها - صيانتها والحفاظ عليها من كل ما يخدش شرفها ويمتحن كرامتها، ويعرض سمعتها للساء).

**النتائج التربوية المترتبة على الدعوة إلي الزواج:**

- الاستجابة للفطرة البشرية.
- إقامة حدود الله والعمل بسنة رسوله.
- تحقيق السكون النفسي والطمأنينة.
- تأكيد الذات.

- تزكية النفس.

- تحقيق لأهم ضرورة من الضروريات الخمس في الإسلام، وهي الدين، حيث لا تكتمل الضرورات الأخرى وهي العقل والنفس والنسل والمال إلا بالدين، بل أن الحياة الإنسانية أو الوجود الإنساني لا يقوم إلا به، وبالتالي يتحقق استقرار الأسرة على أساس راسخ.

- توفير البيئة التربوية الصالحة للحياة الزوجية.

- تحقيق ضرورة من الضرورات الخمس في الإسلام وهي حفظ النسل.

- تقوية الروابط الاجتماعية بين أبناء المجتمع.

- إقامة الحياة الزوجية على أسس القناعة والمحبة والألفة والارتباط الوجداني الصادق، والصحة البدنية والنفسية.

- تقديس الحياة الزوجية.

- تقلص أسباب المشكلات الأسرية، وسيادة عوامل النجاح للحياة الأسرية.

### حقوق الأبناء على الآباء:

من خلال التأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يستطيع الإنسان أن يدرك بشكل واضح مدى اهتمامهما بالأبناء باعتبارهم الثمرة الأولى الناتجة عن قرار بناء الأسرة ، بل نجد أن الفكر الإسلامي جاء شاملاً لجميع أوجه رعاية الأبناء ومراعاة حقوقهم في كل مراحل حياتهم، بل قبل أن تخلق فيهم الحياة، حيث تشكل هذه الحقوق أسساً تربوية، وهي تشمل ما يلي:

- حق الأبناء في الحياة.

- حق الأبناء في حسن اختيار أسمائهم.

- حق الأبناء في الرضاة والإنفاق عليهم.

- حق الأبناء في التربية والتعليم.

- حق الأبناء في العدل بينهم.

- حق الأبناء في الرحمة بهم والتلطف معهم.

- حفظ حقوقهم في الميراث.

ويمكن استنباط النتائج المترتبة على بعض الأسس التربوية لحقوق الأبناء على

الآباء في ضوء القرآن والسنة حيث تتمثل فيما يلي:

- الاستجابة للفترة البشرية في حب الأبناء والعطف عليهم، ومراعاة حقوقهم، مما يسهم في نموهم النفسي والاجتماعي بشكل سليم، ثم ينتقل هذا الحب والعطف ومراعاة الحقوق من هؤلاء الأبناء إلي المجتمع ككل.

- تمكين أنماط الضوابط الإسلامية في سلوك الأفراد وجعلها التزاماً محبباً يعمله الفرد عن طواعية دون إكراه.

- خلق بيئة تربوية مناسبة لنمو الأبناء في جميع جوانب شخصيتهم.
- ترجمة لاستخدام أسلوب القدوة الحسنة في تربية الأبناء.
- تحديد وتنظيم للعلاقات بين أفراد الأسرة بما يتفق مع مبادئ الإسلام من مساواة وعدم تمييز وتحقيق للكرامة الإنسانية.
- مودة الأبناء والرحمة بهم والعطف عليهم يعزز أواصر التآلف والتواد الاجتماعي بين الأبناء والآباء، مما يسهم في تكوين اتجاهات إيجابية لديهم.
- اعتياد وتدريب على يقظة الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين.
- وقاية الأبناء من الانحراف، بحسن تربيتهم وتعليمهم، وإشباع احتياجاتهم وضبط سلوكهم.

### حقوق الآباء على الأبناء:

- الأدب مع الوالدين.
- الاستئذان عليهما.
- طلب رضاهما من غير معصية.
- الإنفاق عليهما.
- مصاحبة الوالدين.
- بر الوالدين بعد موتهما.

يؤكد الفكر الإسلامي على حق الوالدين على الأبناء في الأدب معهما بوجوب برهما وطاعتهما والإحسان إليهما، ليس لكونهما سبب وجود الأبناء فحسب، بل لأنهما فوق ذلك قدما لهم من الجميل والمعروف ما يجب معه مكافئتهما بالمثل، ولذلك أوجب الله سبحانه وتعالى طاعتهما، وكتب على الأبناء برهما والإحسان إليهما حتى قرن ذلك بحقه الواجب له من عبادته وحده دون غيره، وقال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) (الإسراء:23)، كما أوضح سبحانه وتعالى ضرورة برهما ولو كانا مشركين داعيين إلي شركهما، فقال تعالى: (وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) (لقمان:15)، أي عشرة جميلة، وقوله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير) (لقمان:14) وليس من المعروف ولا من الإحسان تركهما بغير إنفاق، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن أولادكم هبة من الله، وأموالهم لكم إذا احتجتم).

- ويمكن استنباط بعض النتائج المترتبة على مراعاة الأسس التربوية لحقوق الآباء على الأبناء في ضوء القرآن والسنة، والتي تتمثل فيما يلي:
- 1- إرساء أسس الرحمة، والتعاطف الاجتماعي في قلوب الأبناء تجاه الآباء.
  - 2- تسهم في الانتقال من الذاتية إلى الاجتماعية في شخصية أبناء المجتمع.
  - 3- تسهم في تدريب واعتياد الأبناء على الرفق بالضعيف والاعتراف بالجميل والفضل تجاه الآخرين.
  - 4- تسهم في تدريب واعتياد الأبناء على الدعاء بالخير واللجوء إلى الله دون مطلب أو مأرب.
  - 5- تسهم في تحقيق التفاعل الاجتماعي على أسس ربانية بعيدة عن الهوى والانحراف.
  - 6- يسهم البر بالوالدين في نمو الوعي الاجتماعي للأبناء لقيامه على البصيرة والحساسية واليقظة، والإيجابية والتعاطف مع الآخرين، وفهم دورهم بالنسبة للمجتمع الصغير الذي نموا فيه.
  - 7- زيادة دفاء وفاعلية الحياة الاجتماعية بين الأبناء والآباء، ومنهم تنتقل الفاعلية والدفاء إلى الحياة الاجتماعية للمجتمع كله.
  - 8- حسن الخلق مع الوالدين يؤدي إلى حسن الخلق في المعاملات الاجتماعية مع الآخرين، مما يدعو الآخرين إلى المعاملة بالمثل، مما ينشط ويدعم هذا الاتجاه الأخلاقي بين أفراد المجتمع.
  - 9- زيادة واستمرارية حب واهتمام الأبناء بالآباء واستجابتهم لمشاعرهم وأفعالهم وحرصهم على العلاقة الطيبة معهم، وفي انتشار مثل هذا السلوك دليل على صحة الفرد وسلامته النفسية.
  - 10- إدراك الأبناء لمسئوليتهم الاجتماعية تجاه الآباء في ضوء القرآن والسنة.
  - 11- يسهم البر بالوالدين في التطبيع الاجتماعي للأبناء لتدريبهم على آليات السلوك في المواقف الاجتماعية على النحو الذي يرغب فيه المجتمع.
  - 12- مساعدة الأبناء على وعي وإدراك وضبط وجودهم الاجتماعي، بحيث يصبح هذا الوجود أكثر فاعلية، كما يسهم في ضبط حاجة الإنسان للارتباط بغيره من الأفراد ليتمكن من القيام بدوره الاجتماعي بحيوية وفاعلية.
- مما سبق يتضح مدي حرص الإسلام على الأسس الكفيلة بجعل البناء الأسري قائماً على الموضوعية والتنظيم الدقيق والترابط، فبين الحقوق والواجبات لكل من الزوج والزوجة والأبناء والآباء، وكيفية العلاقة بينهم، والتعامل معهم، كل ذلك في إطار تعبدية و طاعة لله سبحانه وتعالى، فكل عضو من أفراد الأسرة يؤمن بأن هذه الحقوق والواجبات المرتبطة بالأسس التشريعية والأخلاقية والمحددة للزوج

والزوجة، والأبناء، والآباء، هي فريضة إلهية يجب الوفاء بها، وأنه مسئول عنها في الدنيا والآخرة، ويحاسب بما يناسب عمله من الثواب والعقاب.

وجدير بالذكر أن الإسلام جعل من بيت الأسرة ومسكنها أحب وأفضل الأماكن إلي نفوس المسلمين حيث يشعر فيه الإنسان بالخصوصية والحرية من كثير من قيود المجتمع، فيستريح فيه الجسد، وتسكن إليه النفس، فيقول المولى سبحانه وتعالى: (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلي حين) (النحل:80).

## 2- الكتابيب:

كانت الكتابيب تستقبل الأطفال لتعليمهم القراءة والكتابة من سن السادسة لمدة ثمان سنوات، وإذا بلغ الطفل سن البلوغ ترك الكتاب وهذه السن تتراوح عند الذكور بين الثانية عشرة والرابعة عشرة.

كما أهتم العرب منذ الجاهلية وصدر الإسلام بأطفالهم اهتماماً خاصاً، فأبناء الخاصة منهم كانوا يجدون اهتماماً كبيراً بتثقيفهم روحياً وتربيتهم جسيماً، كما أن أبناء العوام لم يكن أمرهم مهملاً.

والجدير بالذكر أنه كان في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين كتابيب منتظمة يتعلم فيها أبناء المسلمين الأغنياء مع أبناء المسلمين الفقراء بصورة عامة، وأن التعليم كان عملاً له آدابه وأصوله وكان يقوم به جماعته مخصوصة من الناس، وأنه كانت لهم طرائق في التعليم وفي تربية أطفال المسلمين والعناية بتهديبهم وإصلاح أحوالهم، ولقد كان في المدينة دار تسمى (دار القرآن) وأن بعض القراء كانوا يسكنونها ليحفظوا آيات القرآن الكريم ويجودوا قراءته، ويقصدهم الناس إليها فيفيدون مما عندهم من علم كتاب الله، وما حفظوا من حروفه، ولا شك أن هذه الأماكن كانت تمثل المدارس الأولية يتعلمون فيها مبادئ القراءة وأصول الكتابة العربية.

وقد كان للمسلمون في صدر الإسلام من أهل الحجاز والشام والعراق ومصر دوراً كبيراً في إيجاد هذه الكتابيب حيثما انتقلوا من البلاد المفتوحة ليعلّموا أولادهم القرآن الكريم وليلقنوا أبناء المسلمين وهكذا وجدت الكتابيب بكثرة في البصرة والكوفة والفسطاط والقبروان ودمشق وحلب وغيرها من البلاد، وفي العصر الأموي ازدادت العناية بالثقافة وزيادة واضحة لتوسع رقعة الملك وحاجة الدولة إلي المتعلمين، وقد كانت للأمويين عناية خاصة بتهديب أبنائهم وأبناء رجال الدولة، فكانوا يرسلونهم إلي البادية لتفصح أسننتهم وتتقوى أجسامهم، ويلاحظ أن معلمي الكتابيب في العصر الأموي كانوا مقسمين إلي قسمين أولهما معلمو كتابيب العامة

الذين كانوا يهتمون بتعاليم أبناء الطبقة المتوسطة وعمامة الشعب، وثانيهما معلوم أبناء الطبقة العليا والأمراء والنبلاء والأثرياء، وكان لهؤلاء المسلمين اسم يمتازون به وهو اسم "المؤدبين" أما في العصر العباسي فقد انتظم أمر هذه الكتايب بصورة فنية فائقة لاهتمام الناس بأمر أولادهم من جهة ولاشتداد الدولة واهتمامها بأمر التعليم وما إليه من الشؤون العامة من جهة أخرى، وكانت مدة بقاء الطفل في الكتاب خمسة أعوام أو ستة على الأكثر، وتكون غالباً ابتداء من السنة الخامسة أو السادسة من عمره إلي السنة العاشرة أو الحادية عشرة يحفظ الطفل خلالها القرآن الكريم كله أو بعضه عن ظهر قلب أو رواية وإتقاناً، ويتقن فني الكتابة والخط، ويعرف مبادئ العربية، والمبادئ الأولية للحساب.

ولقد كان من الاشتراطات التي يجب أن يتحلى بها أطفال الكتايب ما يلي:

- يجب عليه أن يفهم إنما يتعلم العلم لله وللخير وللدين، لا لأمر الدنيا ولا لأي غرض زائل، وأن يحافظ على شعائر الدين ومكارم الأخلاق، وإظهار السنن ويخشى الله ويظهر قلبه من الصفات النميمة كالحسد والرياء والعجب والعش واحترار الزملاء وما إلي ذلك من مفاسد الأخلاق.

- يجب عليه أن يجد في الدراسة وينشط في الحفظ والعمل وأن لا يتأخر عن مواعيد الدروس والحفظ.

- أن لا يعاشر غير أخوانه المجدين من الطلاب.

### 3- المساجد:

كانت المساجد من أماكن التربية والتعليم التي استثمرت لتربية المسلمين وتعليمهم، وأما من فوق المنابر، وأما عن طريق الحلقات التي تعقد لمناقشة الأمور الدينية والدينية، ولا شك أن المسجد كان وسيلة من وسائل تكوين الرأي العام في المجتمع الإسلامي أو عن طريق الناس أثناء الصلاة.

ويعد المسجد في صدر الإسلام هو المكان الذي يتخرج منه الفقهاء والعلماء والقادة الصالحون في شتى المجالات، كانت المدرسة التي تربي الرجال، وكان المركز الذي تدور حوله حياة المجتمع، وعلى نور رسالته تسير خطى الحياة في المجتمع، وأداء الصلاة جماعة، وظيفية من وظائف المسجد ترسي في شخصية المسلم صفات وخصائص حميدة تقربه من الله سبحانه وتعالى وتجنبه المعاصي وتعيه على أن يصلح ما بينه وبين الناس، والصلاة في جماعة تحقق التآلف والترحم والمساواة بين المسلمين في مجتمعهم، ولقد ارتبط تاريخ التربية الإسلامية بالمسجد ارتباطاً وثيقاً، ذلك أن وظيفته لم تقتصر على الجانب الديني وحده وإنما امتدت لتشمل مهمة التربية ورسالة التعليم، ولعل السبب في جعل المسجد مركزاً ثقافياً هو

أن الدراسات في سنوات الإسلام الأولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح أسسه وأحكامه وهذه تتصل بالمساجد اتصالاً وثيقاً وتتفق مع روحه. والجدير بالذكر أن المساجد عندما اتخذت معاهد للعلم، فقد ضمن ذلك كفاءة العلماء من ناحية وحرية أهل العلم من ناحية أخرى، ولقد كان نظام الحلقات العلمية هو نظام الدراسة في المساجد، وهذا النظام تقليدي ظلت الأجيال تتوارثه منذ أن جلس الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالمسجد معلماً، وكان النظام المتبع أن يجلس الشيخ بجانب عمود من أعمدة المسجد والطلاب حوله على شكل حلقة، بترتيب معين، فلكل طبقة مكان، فيجلس المعيدون والممتازون على يمين الشيخ ويساره، والعادة أن يحرص كل فرد على أن يجلس قريباً من الشيخ، ولكنه لا يتعدى المكان الذي هو أهل له، وكانت الدراسة بالمسجد غير محددة بزمن، ولم يكن طالب العلم فيه مقيداً بعدد خاص من السنين أو عدد معين من الكتب يتعين عليه قراءتها فكان له أن يترك الدراسة متى شاء، ولكن يغلب علي الظن أن الطالب كان يحتاج إلي اثني عشرة سنة لكي يتم منهج الدراسة بالمسجد.

#### 4- قصور الخلفاء والعظماء:

والهدف منها إعداد أولادهم لما ينتظرهم من مهام وأعباء مستقبلية، ولعل هذا النوع من التعليم يذكرنا بالتربية في قصور الفراعنة في مصر القديمة، ولم يقتصر التعليم في القصور عندما كان يتم تعلمه في الكتابات، وإن كان يتفق معه في الأسس العامة مع بعض الحذف أو الإضافة، وإذا ما انتهى المتعلم من هذا القدر المشترك من التعليم وجاوز حد الصبي انتقل من مستوى تلميذ الكتاب إلي مستوى طالب العلم في حلقات المساجد، واختلف التعليم في نفس القصر عنه في الكتاب في أن "مؤدب" أبناء الأمراء والخلفاء وأبناء الخاصة كان يقيم في قصر الأمير أو الخليفة ليكون إشرافه كاملاً عليه، كما كان مؤدب أبناء الخاصة من أكثر مؤدبي عصره علماً ومكانة، فالأب هو الذي يختار المؤدب، وهو الذي يحدد وينتقي ما يريد لأبنيه أن يتعلمه من علوم وآداب.

#### رابعاً: تربية الطفل في الإسلام:

تنضح مظاهر رعاية وتربية الشريعة الإسلامية للطفل ورحتها به في حرصها على حماية حقه في الحياة منذ أن يصبح جنيناً في بطن أمه، حيث قرر الشارع الإسلامي حقه في ثبوت النسب والميراث، وبنبوت النسب تتحقق أول رابطة للطفل بوالديه وبالمجتمع الذي يعيش فيه، والتي من خلالها تتحدد حقوق الطفل والتزامات الآخرين نحوه، وتستمر رعاية وتربية الشريعة الإسلامية للطفل بحرصها على حقه في الرضاع، منذ أن يولد حتى ينمو جسمه، وتحفظ حياته، بل جعلت حق الرضاع من الواجبات الدينية لقول المولى سبحانه وتعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن

حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والده بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أراد فصلاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير) (البقرة:233)، فعلى الوالدة سواء كان الأب من الأحياء أو من غير الأحياء - التزام تجاه رضيعها، يفرضه الله عليها، لا يترك للأهواء، فيقع الضرر على الطفل، وتبدو أهمية وضرورة الأم للطفل خلال العامين الأولين بحيث يصعب الاستغناء عنها، لأنها تكون مصدر التغذية (الرضاعة الطبيعية)، والنظافة، وتعويد الطفل على عمليات الإخراج، وتعليمه بدايات نطق الحروف، والكلمات والمشي وإحاطته بالحب والحنان، وإعطائه الشعور بالأمان، كما أن حضانة الطفل تتضمن تربيته والعناية به ورعايته وخدمته، ولا يتحقق ذلك كما ينبغي أن يكون إلا من خلال الأم، التي تتحمل المتاعب في سبيل ذلك بحب وإخلاص، ولهذا كان حق الحضانة للأم أولاً، ثم لمن تليها عطفاً وحناناً من المحارم فلا يعدل عنها إلا لعذر قوي، لذلك أوجب "ابن الجزار القيرواني" من علماء القرن الثالث الهجري العناية بالطفل منذ خلقه في بطن أمه، ووصفه بفرع الشجرة الذي يتغذى من دم أمه وتحميه من كل العواصف، ويقول: "إن في رضاعته تغذية بلبنها وسلوكها وتؤثر فيه من كل جوانب تربيته"، لأنه يرى أنها ترضعه لبنها وعاداتها وأخلاقها وصحتها وسقمها وعافيتها، فهو مثل الغض الذي يتغذى من أمه الشجرة، فينشأ معتدل المزاج، متكامل الشخصية، بعيداً عن الانحرافات والعقد والنزوات، كما حرص الإسلام على معاملة الأطفال طبقاً لطبيعتهم، فقد جمع الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) في معاملة الأطفال بين الرفق ومراعاة الطفولة، وبين حسن توجيه الأطفال ورفع معنوياتهم والنهوض بهم، وإغنائهم بخبرات الحياة وبالآداب الاجتماعية، وقد وجه الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) الأطفال الواعين إلي آداب الطعام والاستئذان والتيامن وغير ذلك من الآداب العملية لتصبح عندهم عادات سلوكية فردية أو اجتماعية، وعلى الرغم من شدة حب الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) للأطفال لم يمنعه ذلك من زجر أو عتاب شديد يوجهه إلي بعض من كان يربيهم عندما يرتكب خطأ يتعلق بتطبيق حدود الله وأحكام شريعته، فضلاً عن تقدير الإسلام للطفولة، فكان الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يسلم على الأطفال ويجعل لهم صفاً أو مكاناً في المسجد يصلون مع الجماعة خلف الرجال، مما يعكس احترام الأطفال وتقديرهم، أما عن إشباع حاجة الأطفال إلي المحبة وشعورهم بالميل إلي الآخرين والاستئناس بهم، على أساس من التعاطف والمودة المتبادلة وصلة الأقرباء، أو الانتظام في سلك نظام اجتماعي واحد، فقد ضرب الرسول الكريم

(صلى الله عليه وسلم) المثل بنفسه لأصحابه في رحمة الأطفال وتقبلهم ومحبتهم، ومثل هذه المظاهر في فترة الطفولة لا تولد الرضي والأمن فحسب، بل تزود الطفل أيضاً بالقدوة الحسنة.

وفضلاً عن اهتمام الإسلام بالأطفال وحفظ حقهم في الحياة بداية من مولدهم فقد استمر اهتمام الإسلام بتربية الأطفال اهتماماً كبيراً وترى بعض الآراء إمكانية رصد هذا الاهتمام فيما يلي:

1- حرم القرآن الكريم عادة وأد البنات، بقوله سبحانه وتعالى: (وإذا الموءودة سئلت، بأي ذنب قتلت) (التكوير:8-9).

2- من حق الولد على والده في نظر الإسلام أن يحسن اسمه وموضعه وأدبه، لذلك يقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) (إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءهم).

3- دعا الإسلام إلي ضرورة البر بالأطفال والشفقة عليهم، كما أمر سبحانه وتعالى بتوفير الرضاعة لهم ورعاية الأيتام منهم.

4- النفقة على الصغير وواجبه على والده، فكما يحب الإنفاق على نفسه يجب عليه الإنفاق على أولاده لأنهم جزء منهم، وترشد التربية النبوية إلي ذلك لقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول.

5- يقرر الإسلام ضرورة الاهتمام بالوصول إلي سن الرشد الديني مبكراً حتى يكون السلوك في الحياة بعد ذلك مستقراً فتنزح انفعالات الطفل وتتوافق دوافعه ونزعاته المراهقة وذلك بفضل توجيهه الوجهة الدينية السليمة، قال سبحانه وتعالى: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) (طه:132)، ويؤكد ذلك التربية النبوية فيقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع).

6- من تعليمات الإسلام العدل بين الأطفال، ذلك لأنه يتيح لهم نمواً نفسياً وعقلياً سوياً، ويحقق السلامة للمجتمع، أما التفريق في المعاملة بينهم، فإنه يورث البغض والكراهية والجفاء بينهم، وقد ينقلب ذلك إلي عداوة تضر بسلامة الأسرة وأمن المجتمع واستقراره.

#### خامساً: تربية المرأة في الإسلام:

يؤكد الإسلام على أن العلم جوهر إنسانية الإنسان، ومن الإيمان، فأى مناقشة حول قضية تعليم المرأة أو موقف الإسلام من العلم ورؤية الإسلام له، ينبغي أن يرد إلي الإيمان، فما يجوز على الإيمان، يجوز على العلم والتعليم، فتعليم المرأة تكليف واجب ملزم، وكل آيات العلم في القرآن لم يخص بها الرجال دون النساء، إن القرآن

الكريم يبدأ بالعلم والقلم والإنسان، والإنسان هذا لعامة الجنس، لا للرجل دون المرأة، والله تعالى خلق الإنسان علمه البيان، فالإنسان هنا لعامة جنس الإنسانية.

فالقضية هنا قضية الإيمان، ليست القضية أن الحديث النبوي الشريف قال: (إن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)، ولكن العلم من الإيمان، وما يجوز على الإيمان يجوز على العلم، كما يقرر الإسلام أيضاً في تلبية الفطرة التي خلقت عليها المرأة وهي: "الإنسانية ذات العقل والإدراك والفهم" إن المرأة ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل، مسئولة عن نفسها، وعن عبادتها وعن بيتها وعن جماعتها، وهي لا تقل في مطلق المسئولية عن مسئولية الرجل، وإن منزلتها في الثواب والعقاب عند الله معقودة بما يكون منها طاعة أو مخالفة، وطاعة الرجل لا تنفعها وهي طالحة منحرفة، ومعصيته لا تضرها، وهي صالحة مستقيمة: (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) (النساء: آية 124)، وإذا كانت المرأة مسئولة مسئولية خاصة فيما يختص بعبادتها ونفسها، فهي في نظر الإسلام أيضاً مسئولة مسئولية عامة فيما يختص بالدعوة إلي الخير والأمر بالمعروف والإرشاد إلي الفضائل والتحذير من الرذائل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) (التوبة: الآية 71).

والجدير بالذكر أن تحميل المرأة المسئوليات، يجعل لها أو عليها الحق في أن تتعلم كل ما يمكنها من القيام بهذه المسئولية على الوجه الذي حددت به وطلبت منها عليه، وهو تحري الخير والصلاح، والبعد عن الشر والفساد. ومن المسئوليات الملقاة على عاتق المرأة أيضاً، أن لها الحق في أن تعمل فقد كانت السيدة عائشة (رضي الله عنها) تقول: المغزل في يد المرأة أحسن من الرمح في يد المجاهدين في سبيل الله وهي ما هي عليه شرفاً وحسباً، كانت تعمل بيدها في دبغ الجلود وخرزها، مع ما في هذا العمل من مشقة، وكانت تنفق ما يدره عليها هذا العمل في سبيل الله، وكذلك السيدة رائطة، امرأة الصحابي عبد الله بن مسعود وأم ولده، كانت صانعة، ولم يكن لعبد الله بن مسعود مال، فكانت تنفق عليه وعلى ولده، وقد سألت النبي (صلى الله عليه وسلم) مرة فقالت: أئني امرأة ذات صنعة فأبيع، وليس لي ولا لولدي ولا زوجي شيء، ويشغلونني فلا أتصدق، فهل لي في النفقة عليهم من أجر فقال: لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم، فانفقي عليهم.

وفي ميدان الخدمة العامة برز كثير من الصحابيات، وفي مقدمتهن أسماء بنت أبي بكر، فقد قامت بجهود واضحة في إنجاح خطة هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلي المدينة، وكان من نساء المسلمين من صحب جيوش المسلمين

للقيام بمهمة التمريض والتموين ونفل الجرحى، كما قامت النساء المسلمات في الحروب الإسلامية بالدور الذي تقوم به منظمات الصليب الأحمر في الوقت الحاضر، والمرأة إذ يتاح لها هذا الحق، فلا بد أن تعد الإعداد الذي يكفل لها ممارستها، بمعنى أن تحصل على قدر من التعليم علي الحد الذي يمكنها من ممارسة الأعمال المتنوعة والمستوى الذي يمكنها من القيام بأوجه الخدمة العامة وتحقيق ذاتها وخدمة أسرتها والقيام بكافة واجباتها والإدراك والوعي بكافة حقوقها، وبطبيعة الحال كلما كانت المرأة صاحبة علم، أحسنت القيام بهذه الحقوق والواجبات دون احتمال تعرضها لصور الغش والخداع، ويمكنها من القيام أيضاً بمسئوليتها كأم صالحة وزوجة متميزة تشارك بفاعلية في نجاح أسرتها.

كما يرى البعض أن معظم التعليم الذي تلقته المرأة في العصور الإسلامية كان قاصراً على المنازل تقريباً والنسوة اللاتي بلغن شهرة ودرجة عظيمة في العلم كان معظمهن من بيوت أشهر معظم أربابها بالعلم، وكان أهل الفتاة يلقونها العلم إلي درجة معينة، ثم يحضرون لها من تأخذ العلم عنهم من المعلمين.

## المراجع

- 1- إبراهيم ناصر، التربية وثقافة المجتمع، عمان، دار الفرقان، 1983.
- 2- ابن القيم الجوزية: حفة الودود بأحكام المولود، تحقيق عبد الغفار سليمان، القاهرة، دار الريان للتراث، 1983.
- 3- أبو الحسين مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج2، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1954.
- 4- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج3، بيروت، دار الفكر، 1980.
- 5- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الفكر التربوي العربي الإسلامي، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1987.
- 6- عبد الرحمن النحلاوي: التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ط2، بيروت، المكتب الإسلامي، 1988.
- 7- \_\_\_\_\_، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط2، دمشق، دار الفكر، 1983.
- 8- زينب سيد عبد الحميد: بعض أنماط التنشئة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بسمات الشخصية لدى الأبناء، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنيا، 1999.
- 9- سناء الخولي: الأسرة في عالم متغير، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978.
- 10- عبد الغني عبود وحسن عبد العال: التربية الإسلامية وتحديات العصر، القاهرة، دار الفكر العربي، 1990.
- 11- محمد سمير حسانين: التربية الأسرية، طنطا - مصر، دار أبو العينين للنشر، 1994.
- 12- محمود السيد سلطان: بحوث في التربية الإسلامية، القاهرة، دار المعارف، 1979.

الفصل التاسع  
الفكر التربوي في القرنين التاسع عشر والعشرين

هناك اتجاهان برزا في هذا القرن وهما من أبرز الاتجاهات التربوية، وهذان الاتجاهان هما: الاتجاه التطوري النفسي، والاتجاه القومي في التربية.

### 1- الاتجاه التطوري النفسي:

ظهر هذا المذهب علي يد جماعة من المربين اهتموا بقياس النفس البشرية وسن أعمارها والتعرف علي طبيعة العقل البشري وطبيعة النمو الإنساني ... وذلك من أجل إصلاح العملية التربوية من خلال ربطها بقوانين النمو الإنساني، ولقد ركز أصحاب هذه النظرية علي الأهداف الفردية أكثر من اهتمامهم بالأهداف الاجتماعية، فاهتموا بالكشف عن القوانين والمبادئ النفسية التي يمكن الاعتماد عليها في العملية التربوية علي أساس أن معرفة هذه القوانين ستساعد في الكشف عن إمكانيات الطفل ومواهبه ثم تنميتها وتطويرها، كما اهتموا بتحسين طرق التعليم وإظهار روح جديدة للتعامل بين المدرس والتلاميذ، فنادوا بكثير من المبادئ منها الاهتمام بنشاط التلميذ، وأن يقوم بنفسه بتنفيذ المواقف التعليمية وأن ينتقل التعليم من المحسوس إلي المجرد ومن الخاص إلي العام فيجب الابتعاد عن الأفكار المجردة التي لا تعني شيئا في أذهان الأطفال وأن تبني علاقات طيبة بين المدرس والتلاميذ أساسها التعاطف والحب بدلا من النظام الصارم المتسلط، والاهتمام بشخصية المعلم وحسن إعداده ومن رجال هذا الاتجاه جوهان بستالوتزي (1746-1827)، وجوهان فردريك هربرت (1776-1841)، ومنهم أيضا فردريك فروبل (1782-1857) وإليه يعود الفضل في إنشاء رياض الأطفال، فقد أنشأ مدرسة للأطفال الصغار وقضي سنوات حياته الأخيرة في تطوير الألعاب والتمثيلات وأغاني الأطفال الصغار وتدريب معلمي الأطفال.

### 2- الاتجاه القومي في التربية:

هو من الاتجاهات البارزة التي ظهرت في القرن التاسع عشر، وكان له نفوذ واسع علي توجيه الفكر التربوي والحياة الغربية بصفة عامة، ومما لا شك فيه أن أصول النزعة القومية كانت معروفة من القدم وأن جذورها كانت ممتدة عبر الحضارات القديمة، المصرية والفارسية والإسبرطية والرومانية، ولكن نتيجة العوامل وظروف متعددة بدأت هذه الروح القومية بالبروز في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، وأصبحت جميع نظم الدولة الاجتماعية والتربوية والإنتاج موجهة من أجل خدمة هذه النزعة وإشعالها في النفوس.

ومن أبرز الدول التي نمت فيها الروح القومية وكان لها تأثير قوي علي الفكر التربوي هي فرنسا وألمانيا وأمريكا ولقد كانت ظروف تلك الدول يشجع نمو الفكر القومي وتقويته ففي فرنسا ظهرت الروح القومية نتيجة للأحداث الخطيرة التي كانت تواجهها البلاد وخاصة بعد أن تحالفت بعض الدول الأجنبية ضد الثورة الفرنسية.

وقد رأى زعماء الثورة أنهم بحاجة إلى نظام تعليمي حكومي يساعد علي تكوين البواعث والمشاعر الوطنية الجديدة، ويعرف الشعب علي مزايا النظام الثوري الجديد والمكاسب التي حققتها الثورة للشعب، ليغرس في نفوسهم حب هذا النظام والمحافظة عليه وبدأ التخطيط لإنشاء تعليم وطني قومي ليحل محل الأنظمة التعليمية التابعة للكنيسة التي ألغيت.

وكان الغرض البارز إنشاء نظم تعليمية جديدة تحت السيطرة العامة للدولة يهدف إلى تدعيم التماسك القومي وتحسين ظروف الدولة عن طريق إعداد مواطنين ذوي كفاءات عالية ولهم ولاء لفرنسا.

وكان من أهم الأسس والمبادئ لتجديد الدولة الألمانية يجب أن تقوم علي توحيد الدولة والمشاركة الشعبية هكذا بدأ الألمان يحاربون الفرنسيين بنفس أسلحتهم مثل خلق جيش قوي وإثارة المشاركة الوطنية وإيجاد علاقة قوية بين الدولة والشعب، وبدأ الألمان يحملون بألمانيا الكبرى، المستقلة الناهضة الديمقراطية، فتوجه الفكر ضد نابليون وضد الأسر الألمانية الحاكمة.

كما ساد مفهوم التعليم الوطني في الولايات المتحدة الأمريكية حيث أكد زعماءها الأوائل علي أهمية المفهوم الوطني للتعليم وأعلنوا إيمانهم بالمواطنة كدافع جديد للتعليم وأصبح من أهداف التعليم في أمريكا، كما جاء في وثيقة الاستقلال ودستور الولايات المتحدة، أنه إذا أريد لهذه الأمة الجديدة أن تنظم من أجل الشعب وبواسطة الشعب فيجب اعتبار التعليم ضرورة مطلقة، ويجب أن يتعلم الفرد ليس من أجل إنقاذ روحه فحسب ولكن لإنقاذ بلاده، وإذا أريد للناس أن يحكموا فيجب أن يتعلموا كيف يحكمون.

### أهداف التربية القومية ومناهجها:

لاقت الروح الوطنية تأييدا كبيرا وانتشرت في بلدان كثيرة، ولقد كان لها أثر كبير علي تطوير الفكر التربوي إذ كانت الدافع القوي والأساسي وراء تأسيس وتطوير المدارس العامة التي تسيطر عليها الدولة، ومن أبرز الأهداف التي سعت إلى تحقيقها:

- تنمية الشعور الوطني التي تجعل الفرد يفخر ويعتز بأتمته ويحقد علي أعدائها ويتفاني في الدفاع عنها.
- تنمية المشاعر الوطنية التي تدعم وتعزز التماسك والترابط الاجتماعي وتقضي علي أسباب التفكك والضياع.
- تدعيم الاستعداد العسكري ماديا ومعنويا سواء بالدفاع أو الهجوم.
- تنمية الثروات الوطنية علميا واقتصاديا.

ولقد أصبح لهذا الفكر تأثير كبير علي مناهج الدراسة، فبدأ الاهتمام بإحداث تغييرات علي مناهج الدراسة لبناء مناهج قادرة علي تجسيد آمال الأمة وطموحاتها وقادرة علي تحقيق الأهداف ومن أهم المجالات التي بدأ يهتم بها المنهج من أجل خدمة الأهداف القومية وغرس الروح الوطنية في الشباب **تتمثل فيما يلي:**

الاهتمام باللغة القومية والأدب القومي وتوجيهه لخدمة الأغراض الوطنية، ولا شك أن الأدب واللغة لهما قدرة كبيرة علي إشعال الروح القومية والوطنية وخاصة إذا تم اختيار النصوص الأدبية بعناية، وقد عمل الفرنسيون والألمان علي تدريس لغاتهم القومية في المدارس الثانوية والجامعات، وأصبحت اللغة القومية هي اللغة الأولى، وحلت محل اللغة والأدب اللاتيني، كما اهتمت المناهج بتدريس مادة الجغرافيا ووجهت مادة الجغرافيا لإبراز إمكانيات الأمة والمحافظة علي هذه الإمكانيات أو تتميتها من خلال تعريف التلاميذ علي ما في البلاد من سهول ووديان وجبال وثروات وأنهار ومنتجات.

كما درس التاريخ وأعطى أهمية كبيرة لإبراز قصص البطولة والحكام والطغاة والتعرف علي أعداء البلاد والتعرف علي أسباب الهزائم والانتصارات وهكذا تصبح هذه المادة وسيلة من الوسائل التي تبني روحا جديدة وفكر لدي الشباب وتجعله قادرا علي خدمة قضية بلاده وأمته.

ومن المقررات التي لقيت عناية واهتماما دراسة المجتمع القومي ليتعرف الطلاب علي حقوقهم وواجباتهم ... ونشر المبادئ والأسس التي تؤمن بها الأمة وتحقق لها عزتها وكرامتها، كما اهتم المنهج بالموسيقى وأكد بصفة خاصة علي الموسيقى العسكرية والأغاني والأناشيد الوطنية وخاصة تلك التي تؤدي عن طريق مجموعات في المناسبات الوطنية.

أما التربية البدنية فقد اهتم المنهج بها ليعزز أهميتها العسكرية والصحية، واهتم بتدريس الدين من أجل غرس بعض القيم التي تحقق مصالح الدولة كالجد والاجتهاد والاهتمام بالمصالح العامة وإنكار الذات والطاعة للسلطة والنظام. كما أكد المنهج علي دراسة العلوم التي تساعد علي الكشف عن ثروات البلاد وتنميتها.

### **بعض الملامح الرئيسية في الفكر التربوي الأوربي في القرن العشرين:**

الفكر التربوي الحديث الذي نعيشه اليوم، يحاول أن يستفيد في الدراسات والاتجاهات والمذاهب التربوية والنفسية والاجتماعية، ومن التقدم الهائل الذي حدث في مجال الميادين العلمية المختلفة، ولا سيما التقدم الذي حدث في مجال العلوم الطبيعية والتقدم التكنولوجي والصناعي ... إن هذه المحاولات التي بذلت والتي لا تزال تبدل وترمي إلي الاستفادة من هذا التقدم والتطور في ميدان العلوم قد أدت إلي

ظهور تربية جديدة استطاعت أن تعكس ذلك التقدم والتطور علي الأهداف التربوية وبرامج الدراسة وطرق التعليم، فأصبحت مناهج الدراسة التي تقدم للأطفال والشباب تحتوي علي خلاصة التراث الثقافي للجنس البشري التي أثبتت التجارب والدراسات أهميتها، في تقدم الفرد والمجتمع واهتم المرربون والمدرسون باستخدام الطرق المناسبة التي تمكن التلميذ من اكتساب الخبرات التربوية ولما كان من الصعوبة الإحاطة بأسس الفكر التربوي الحديث في صفحاته لذا سنكتفي بالإشارة إلي بعض الملامح والخصائص الرئيسية للفكر التربوي.

## 1- استقرار الاتجاه القومي:

أن الاتجاه القومي الذي برز في القرن التاسع عشر والذي كان من أهدافه تمجيد الأمة والاعتزاز بها ... أصبح اليوم أكثر شيوعا وقبولاً بعد أن أصبحت جميع دول أوربا والعالم مقتنعة باستخدام النظام التربوي من أجل تحقيق الأهداف القومية تلك الأهداف التي تنمي في الجيل الصاعد حب الوطن والافتخار به ومناصرته وقت الأزمات والمحن والمشاركة والمساهمة في تنميته وتطويره والنهوض به بالعلم والخلق واستغلال ثرواته وإمكانياته بالطرق المثلي.

## 2- الاستفادة من الدراسات النفسية والاجتماعية:

ينادي رجال التربية اليوم بضرورة الاستفادة من الدراسات النفسية والاجتماعية والاستعانة بها عند بناء مناهج الدراسة حتى تأتي تلك المناهج متلائمة ومنكيفة إلي حد كبير مع قدرات التلاميذ وميولهم وخصائص نموهم وحتى تكون تلك المناهج أيضا متلائمة من ناحية أخرى مع مطالب المجتمع وحاجاته.

ولا شك أن بناء مناهج دراسية تستند إلي علم النفس قد لا تكون من مبتكرات هذا القرن، فقد بذلت محاولات سابقة لبناء مناهج تتفق مع طبيعة الفرد كتلك المحاولات التي أباها أنصار المذهب الواقعي الحسي في القرن السابع عشر ثم تلاهم بعد ذلك أصحاب المذهب الطبيعي في القرن الثامن عشر، ثم أصبحت أكثر وضوحا في القرن التاسع عشر علي يد الاتجاه التطوري النفسي ... ولكن تلك المحاولات بالرغم من أهميتها وقدرتها علي إضافة الأمور الجديدة علي الفكر التربوي وما قدمت من إسهامات جلييلة أدت إلي تقدم التربية، إلا أننا اليوم نستطيع أن نقول عن تلك المحاولات أنها كانت تستند علي علم نفس قاصر تأسس علي تأملات فلسفية وفكرية، ونتيجة المحاولة والخطأ التي كان يقوم بها المفكر التربوي نفسه ... يعكس النظريات النفسية التي تعتمد علي آلاف من التجارب والبحوث الميدانية والتي لم تركز علي دراسة ذكاء الطفل نفسه، بل تناولت بالدراسة والتحليل جميع أعضائه وجوانب شخصيته ... واستجاباته الانفعالية والعاطفية والاجتماعية.

لا شك أن التربية استفادت من هذا التطور الذي حدث في ميدان علوم النفس في مجالات متعددة ... مثل بناء مناهج تتلاءم مع نمو الفرد وإدخال التعديلات في طرق التدريس وإدخال روح جديدة في فصول الدراسة قد تؤدي إلى وجود تعامل جديد مع التلاميذ ... وتوجيه الطالب نحو التعليم المناسب لميوله وقدراته ومراعاة الفروق الفردية ... ومعالجة أسباب التأخر الدراسي إلى غير ذلك من القضايا التربوية الهامة. كما أن التطور الذي حدث في مجال علم الاجتماع والتعمق في دراسة المجتمع والمشكلات الاجتماعية أدى إلى توثيق الصلة بين التربية والبيئة أو المجتمع الذي نعيش فيه، ولا شك أن العلاقة بين التربية والمجتمع كانت قائمة منذ القدم حيث نلاحظ أن المجتمعات القديمة كانت حريصة على نقل تراثها إلى الأجيال الناشئة ولكن تلك المجتمعات كانت محافظة بصورة كبيرة لذلك ربطت عملية التنشئة الاجتماعية بالماضي ولم تعطي اهتماما كبيرا بعملية التغيير.

لذا بدأ ينادي الفكر التربوي بالاهتمام بإعداد التلاميذ لتلك الحاجات الاجتماعية المتوقعة، كما نادى بعض المفكرين والتربويين أن تهتم التربية بعملية التجديد الاجتماعي عن طريق خلق بعض الأفراد القادرين على تجديد المجتمع وتطويره.

### 3- التقدم العلمي والتكنولوجي:

شهد هذا القرن تقدما هائلا في مجال المخترعات العلمية والصناعية، ولا شك أن هذا التقدم الصناعي والعلمي هو المصدر الرئيسي لقوة الدولة وعنوان تقدمها الاقتصادي والسياسي العسكري ... ولقد أشغل هذا التقدم روح التنافس بين الدول المتقدمة التي بدأت تتسابق لتحقيق انتصارات في هذا الميدان.

كما بدأت الدول النامية تشعر بالهوة العميقة بينها وبين تلك الدول، فبدأت تبذل المحاولات لتضييق هذه الفجوة ... لذا فمن الطبيعي أن يكون لهذا التقدم الهائل تأثيره القوي على التربية مما حتم على الدول أن تعيد النظر بصفة دائمة في أهداف التربية وبرامج الدراسة لتدخل عليها الكثير من الإضافات والتعديلات حتى تصبح تلك المناهج قريبة من هذه النهضة، وقد أخذ هذا التأثير صوراً مختلفة منها:

1- اهتمام مناهج الدراسة بالمواد العلمية التي تساعد على فهم هذا التقدم ونموه وتطويره مثل مادة الكيمياء والطبيعة والرياضيات والهندسة والأحياء وأصبحت مثل هذه المقررات تأخذ شكلا جوهريا وأساسيا في المناهج لارتباطها الوثيق بالتقدم العلمي والصناعي وخاصة بعد أن تأكدت للمجتمعات أهمية ذلك التقدم في المحافظة على مستقبل الأمة وحاضرها السياسي والعسكري والاقتصادي.

2- إدخال المواد الفنية والمهنية ضمن مناهج التعليم الثانوي.

3- إدخال أساسيات العلوم في المدارس الابتدائية مع غرس بعض العادات والميول والاتجاهات لدي الأطفال والشباب التي تنمي فيهم طريقة التفكير العلمي واحترام العمل والإنتاج وتساعدهم علي تكوين بعض المهارات التي يحتاجها العمل.

4- تأسيس المعاهد الفنية المتخصصة الصناعية والزراعية والتجارية.

5- ابتكار وسائل تعليمية جديدة تساعد علي فهم تلك المواد وطرق تدريسها.

#### 4- تعاون الخبرة الإنسانية المتنوعة عند بناء المناهج:

من المبادئ الهامة للتربية الحديثة ضرورة تعاون خبراء متنوعين عند بناء المنهج الدراسي ومن الضروري أن تكون الخبرة مكونة من:

- خبراء في المادة.

- خبراء في متطلبات البيئة واحتياجات المجتمع.

- خبراء في نفسية التلميذ أو المرحلة الدراسية.

وذلك حتى يتمكن هؤلاء الخبراء عن طريق تعاونهم في بناء المنهج بناء يتلاءم مع نفسية التلميذ وقدراته بحيث يقدم المنهج للتلميذ بصورة واضحة وسهلة ومتدرجة في الصعوبة وملئمة لمراحل نموه وأبعاد ما يصعب علي التلميذ إدراكها أو ما لا يتفق مع ميوله أو لا يثير اهتمامه، كما سيأتي المنهج نتيجة لهذا التعاون متلائما مع حاجات المجتمع وأبعاد المواد التي لا علاقة لها بالحياة الاجتماعية.

#### 5- الاهتمام بإعداد المعلم:

من المعروف أن الاهتمام بإعداد المعلم قد بدأ بالقرن التاسع عشر ... إلا أن التقدم الهائل إلي حدث في مجال علم النفس والاجتماع وسائر العلوم الطبيعية والإنسانية والتربوية غير من مكانة العلم وغير من طريقة إعداده، فبدأ المربون يبحثون عن الصفات التي يجب أن يتحلي بها المربي وبينون المناهج التي تساعد في إعداد المربي الكفاء الذي يستطيع أن يؤدي دوره بنجاح.

#### 6- تأثير العامل الديمقراطي:

إن انتشار الديمقراطية نتيجة الثورات السياسية والاجتماعية التي اجتاحت العالم كان له تأثير علي التعليم، وفق تحويل التعليم بفضل هذا العامل ليصبح حقا من الحقوق الطبيعية للإنسان مما فرض علي المجتمعات أن تلتزم بمبدأ ديمقراطية التعليم، فقدم التعليم وتيسر لجميع الأهالي والمواطنين ولا شك أن ديمقراطية التعليم تعني أمورا كثيرة فهي تعني مثلا وجود تعليم عام إلزامي يقدم لجميع المواطنين ... كما تعني أيضا الاهتمام والعناية بتكافؤ الفرص التعليمية ... أي تقدم أنواع مختلفة من التعليم لتناسب مع أصحاب الميول والقدرات المتنوعة علي أن يحصل علي التعليم الأفضل الأكثر قدرة وذكاء ومناسبة لهذا التعليم، لا أن يكون الحصول عليه بحسب المكانة الاقتصادية والاجتماعية كما يعني أيضا الاهتمام بتقديم تربية

للمعوقين تتلاءم مع ظروفهم وإمكانياتهم، كما تعني ديمقراطية التعليم بتبصير التلاميذ بمبادئ الديمقراطية وأسسها حتى يتمكنوا من ممارستها بصورتها المثلى بعد تخرجهم من المدارس.

#### 7- توثيق الصلة بين الاقتصاد والتعليم:

إن العلاقة بين التعليم والاقتصاد كانت قائمة منذ زمن قديم، ولكنها لم تكن بمثل هذه القوة والوضوح الذين نشهدهما في هذا القرن ... ويبدو أن تأثير العامل الديمقراطي علي التعليم كان من العوامل الهامة التي أحكمت الصلة ووثقت العلاقة بين التعليم والاقتصاد، حيث أدى العامل الديمقراطي إلي زيادة عدد الطلبة في المدارس فبدأ يتدفق أعداد كبيرة من الطلاب علي المدارس نتيجة لإيمان الدولة بديمقراطية التعليم والترامها بمبدأ إتاحة الفرص التعليمية أمام أبنائها جميعا.

إن هذه الزيادة أربكت الكثير من الدول من الناحية الاقتصادية وخاصة الدول النامي ... مما دفع تلك الدول أن تطلب من رجال الاقتصاد أن يقوموا بدراسة المشاكل الاقتصادية التي سببها ذلك الإقبال الكبير علي التعليم طابتهم مثلا بدراسة تكاليف التعليم والطرق المثلي لتمويله وخفض التكاليف حتى تتمكن تلك الدول من الإيفاء بالتزاماتها وبالو عود التي قطعتها علي نفسها عندما أعلنت والتزمت أمام شعوبها بنشر التعليم لجميع المواطنين، وهكذا بدأت الدراسات والبحوث التي تتناول اقتصاديات التعليم ... ومن النتائج التي توصلت إليها العديد من تلك البحوث والدراسات ما أثبت أن التعليم ما هو إلا نوع من أنواع الاستثمار سيكون له مردود اقتصادي كبير وسيكون من اهم العوامل التي تساعد علي زيادة النمو الاقتصادي في المجتمع إذا أحسن استغلاله واشتقت أهدافه من مطالب المجتمع واحتياجاته وقد أدت هذه النتائج إلي الاهتمام بربط التعليم بالتنمية والإنتاج.

#### 8- التعاون الدولي في مجال التربية:

وهو من الأفكار الجديدة التي ظهرت في هذا القرن، ولقد قامت المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (يونسكو) بدور كبير من أجل تحقيق هذا الغرض، وكان من أهدافها تحقيق السلام العالمي وخاصة إن إنشائها تم بعد الحرب العالمية الثانية وقد تم التعاون الدولي من أجل التقدم التربوي والعلمي عن طريق تبادل الخبرات وعقد المؤتمرات الدولية للتعرف علي المشكلات التربوية والعلمية والثقافية ومحاولة علاجها والتوصل إلي حلول لها ... كما عملت تلك المنظمة علي مساعدة الدول النامية لحل مشكلاتها التربوية عن طريق تقديم المساعدات الفنية والمالية كإمدادها بالخبرات والمساعدات المالية لدراسة مشاريعها وتنفيذها، وقد ساهمت المنظمة في مشاريع متنوعة.

#### 9- ظهور بعض المفاهيم التربوية الجديدة:

ونتيجة التعاون الدولي في مجال التربية ونتيجة للتقدم العلمي والتطور الحضاري فقد ظهرت بعض المفاهيم التربوية الجديدة مثل التعليم المستمر وربط العلم بالعمل وربط الفصول بالمصنع والتعليم المبرمج، المدرسة الشاملة، والتدريب أثناء الخدمة.

## المراجع

- 1- السيد عبد القادر الشريف: تطور الفكر التربوي، الرياض، دار الزهراء، ط1، 2010.
- 2- السيد عبد القادر الشريف: تاريخ تطور تربية الطفل، الرياض، دار الزهراء، ط1، 2010.
- 3- أنطوان الخوري: أعلام التربية ... حياتهم آثارهم ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1962.
- 4- بول منرو: المرجع في تاريخ التربية ، ج2 ، ترجمة صالح عبد العزيز ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1958.
- 5- ر. هيكل: التاريخ الاجتماعي للتربية ، ترجمة محمد لبيب النجحي وآخرون ، القاهرة ، عالم الكتب ، 1972.
- 6- روبرت ر. بالمر: تاريخ العالم الحديث ، ج1 ، ترجمة محمود حسن الأمين ، الموصل ، مكتبة الوفاء ، 1953 ، ص65.
- 7- سعد مرسي أحمد: تطور الفكر التربوي ، القاهرة ، عالم الكتب ، 1975.
- 8- سعد مرسي أحمد ، سعيد إسماعيل علي: تاريخ التربية والتعليم ، القاهرة ، عالم الكتب ، 1974.
- 9- سعيد عبد الفتاح عاشور: حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1976.
- 10- سيد إبراهيم الجبار: تاريخ الفكر التربوي ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، 1974.
- 11- علي خليل أبو العينين: أصول الفكر التربوي الحديث بين الاتجاه الإسلامي والاتجاه التغريبي ، القاهرة ، دار الفكر العربية ، 1986.
- 12- عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية ، بيروت ، دار الثقافة ، 1971.
- 13- فخري رشيد خضر: تطور الفكر التربوي ، دولة الإمارات العربية ، العين ، دار الكتاب الجامعي.